

تاريخ المرأة فى الاستخبارات الإسلامية

د. سلامة محمد الهرفى البلوى *

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز دور المرأة العربية المسلمة وغير المسلمة في خدمة الاستخبارات الإسلامية إلى جانب إسهاماتها في حماية الأمن الداخلي منذ العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأيوبي.

* - أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المشارك - جامعة الشارقة - كلية الآداب والعلوم - قسم التاريخ والحضارة الإسلامية.

History of Arab Women in the Islamic Intelligence

Abstract

This study attempts to point out the role of the Arab Muslim women in the Islamic Intelligence. The study documented the achievements of the Arab Muslim women in maintaining the local security in the period extending from the Ignorance era till the end of the Ayobian Caliphate.

مقدمة:

إن تاريخنا الإسلامي يقدم الأدلة والبراهين على أن أول من سجل اسمه في سجل الإيمان امرأة (أم المؤمنين خديجة)، وأن أول من سقط شهيدا من أجل كلمة لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله امرأة (سمية بنت خياط)، وأن القرآن الكريم بعدما تم جمعه حفظ عند امرأة (أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب)، وأن أكمل وصف نقل لنا عن هيئة المصطفى (ﷺ) وملامحه جاء عن طريق امرأة (أم معبد).

فهل هذا من قبيل المصادفة التاريخية؟ أم إشارة لا تقبل اللبس عن وعي المرأة المسلمة منذ اليوم الأول لإسلامها، بأن مسئولية التمكين لدين الله في الأرض، وإقامة حضارة تتميز بالحيوية والازدهار مسئولية ملقاة على عاتق المرأة بالقدر نفسه الملقى على عاتق الرجل.

لن نتحدث هذه الدراسة عن إسهامات المرأة في إثراء الحركة العلمية والثقافية⁽¹⁾ ومشاركتها في الحرب والسياسة، والعمارة والفنون، وأعمال البر والإحسان، فتلك جوانب قد عالجها أكثر من باحث، وإنما ستقتصر هذه الدراسة على محاولة تلمس دورها في جانب يعد من أهم الجوانب في حياة الأمم، ألا وهو جانب الاستخبارات⁽²⁾، فالاستخبارات - كما هو معلوم - العقل المدبر، والموجه للحرب والسلام، والحارس الأمين على الأمن والاستقرار، الذي هو شرط من شروط الإثمار الحضاري والتقدم والازدهار.

فهل كان للمرأة المسلمة إسهامات في هذا الحقل المهم؟ وما هي أبرز المجالات التي عملت بها؟ ومتى بدأ تجنيدها في الأجهزة الاستخبارية الإسلامية؟ وهل كان لها دور في حماية الأمن الداخلي؟ وما أبرز نجاحاتها وإخفاقاتها؟ وهل تمكنت الاستخبارات الإسلامية من استقطاب نساء غير مسلمات في صفوفها؟

هذا ما تحاول هذه الدراسة الإجابة عنه من خلال ستة مباحث، خصص الأول منها للمرأة والعمل الاستخباري قبل الإسلام، وأفرد الثاني للمرأة والعمل الاستخباري في عصر الرسالة، وتحدث المبحث الثالث عن المرأة وتسرب الأخبار، وجاء المبحث الرابع لينكلم على دور المرأة في حماية الأمن الداخلي، وعقد المبحث الخامس لتتبع دور المرأة

في اغتيال القيادات المعادية، أما المبحث الأخير فجعل للمرأة غير المسلمة في الاستخبارات الإسلامية. وذيلت الدراسة بأهم الملاحظات التي خرجت بها.

وبعد... فهذه الدراسة تصب في جهود الباحث التي يبذلها من زمن لإحياء التراث الأمني الإسلامي، لسد النقص في هذا اللون من الدراسات. والباحث يحذو الأمل بأن تكون هذه الدراسة حافزا للزملاء الأفاضل لمواصلة البحث في هذا المجال، لسد الخلل، وإكمال النقص.

وفي الختام فإن الدراسة تردد قول الشاعر الأندلسي القاسم بن محمد:

اعلم بأن المرء لو بلغ المدى من العمر لاقى الموت وهو مقصر
فإذا ظفرت بركة فافتح لها باب التجاوز فالتجاوز أجدر

المبحث الأول

المرأة العربية والعمل الاستخباري قبل الإسلام

لقد كان العربي يدرك من خلال تجاربه أن للمرأة قدرة فائقة على الوصف وتسقط الأخبار، أكثر من الرجل، لذا كان يستغل مواهبها تلك في جمع المعلومات عن أعدائه وأصدقائه على حد سواء، وكان على ضوء تقاريرها في مرات عدة تتخذ قرارات الحرب والسلام.

ولعل ما قام به زهير العنسي، الذي قُتل ولده شاس في ظروف غامضة وعجز أن يهتدي لقائله. شاهد على مقدرة المرأة على البحث والاستقصاء في القضايا المعقدة، فقد جند زهير امرأة لجمع المعلومات من النساء عن ملابس مقتل ولده، وفعلًا تمكنت تلك المرأة من التسلل إلى ديار بني غني ممن كانت تدور حولهم الشبهات بأنهم القتل، فأخذت تجمع الأخبار من كل امرأة كانت تخوض في مقتل شاس، حتى تمكنت في نهاية المطاف من الوصول إلى زوجة القاتل التي اعترفت أمامها بأن زوجها هو القاتل، فرجعت المرأة إلى زهير، وأخبرته باسم قاتل ولده ومكانه، وعلى ضوء هذه المعلومات ثار من قاتل ولده⁽³⁾.

أما سلمى بنت عمرو بن زيد النجارية، زوج أحيحة بن الجلاح، فقد قدمت لنا عملية استخبارية تثير الدهشة والإعجاب على حد سواء، تلك المرأة التي قدمت حب الوطن على حب الولد والزوج، واستطاعت بحدة ذكائها وحسن تدبيرها من إنقاذ قومها من عدو يترصص بهم ويريد أخذهم على حين غرة لنهب الأموال وقتل الرجال وسبي النساء.

لقد تمكنت سلمى من خلال مراقبتها لتحركات زوجها من معرفة أنه قد انتهى من وضع اللمسات النهائية لغزو قومها في اليوم التالي وهم في غفلة من أمرهم، ولكنها بعد حصولها على هذه المعلومات الثمينة، أخذت تفكر في أنسب الطرق للخروج من الحصن الذي تعيش فيه لإبلاغ قومها ليأخذوا حذرهم، ويفوتوا عليه فرصة تحقيق أهدافه التي رسمها.

كانت سلمى تدرك أهمية الوقت، وأنها إذا لم تستطع الوصول إلى قومها قبل الفجر، ضاعت الفرصة الذهبية لإنقاذ قومها. ولكن كيف تستطيع أن تقلت من مراقبة زوجها، فضلا عن الخروج من هذا الحصن المحاط بالأسوار والحراس؟

لم تجد هذه البدوية بعد إعمال فكرها إلا تسخير رضيعها وفلذة كبدها لتحقيق أهدافها؛ إذ عمدت إلى ربط إصبع رضيعها بخيط، فكلما رأت زوجها أغمض جفنيه جذبت الخيط،

فيصرخ الطفل، فينهض الأب، وهو يقول: ويحك ما الذي أصاب ابني، فتقول: والله لا أدري، واستمرت على هذه الحال، حتى بدا الإعياء على زوجها، ففكت الرباط، فنام الطفل، ونام الزوج، لتبدأ المرحلة الثانية من الخطة التي تهدف إلى إرهاق زوجها حتى تتمكن من الهرب، فعندما رآته يغط في نوم عميق، أخذت تصيح مدعية أنها مصابة بصداع شديد، فأخذ يمرضها، ويعصب رأسها، حتى إذا لم يبق من الليل إلا أقله، قالت له: قم فتم، فأبني بخير قد ذهب عني ما كنت أجده.

فلما تبينت بأن زوجها قد ذهب في سبات عميق، انسلت من جانبه تاركة طفلها بجانب والده، وأخذت حبلا وأوثقته برأس سور الحصن، ثم تدلت منه في غفلة من الحرس، وأخبرت قومها الخبر، فأخذوا حذرهم، فلما أقبل زوجها في الصباح في عسكره، وجد خصومه على أهبة الاستعداد لملاقاته، عندها أدرك أن زوجته سلمى هي التي سربت أسرارها إلى قومها، عندها قال متحسرا: "عمل سلمى، خدعتني حتى بلغت ما أردت"⁽⁴⁾.

ولعل سقوط إمارة الحضرمية⁽⁵⁾ بسبب خيانة امرأة من الأحداث التي لا تنساها ذاكرة تاريخنا العربي القديم، فقد تمكنت هذه الإمارة بقيادة الضيزن من هزيمة الفرس عام 241م، وأسر أخت سابور الذي بلغ منه الغضب مبلغه، فتوجه بجيشه الجرار لاحتلال الحضرمية، فحارب حولها الحصار مدة عامين بدون جدوى لمناعة تحصيناتها، ولكنها سقطت في نهاية المطاف بسبب خيانة النضيرة⁽⁶⁾ ابنة حاكم إمارة الحضرمية.

لقد تمكن سابور من الاتصال بالنضيرة، ومناها بالزواج، وبأن تكون حظيته التي لا يتقدم عليها أحد من زوجاته إذا هي سهلت أمر استيلائه على المدينة، فانخدعت النضيرة بوعود سابور، وشرعت في مخططاتها التجسسية على قومها وأهلها، وبدأت في جمع المعلومات الاستخباراتية عن تحصينات المدينة، والأسلوب الأمثل لدخولها، ثم أرسلت ما تجمع لديها من معلومات إلى سابور. ومن أجل أن تتم عملية الاقتحام وفتح المدينة بأيسر الطرق، عمدت إلى والدها وقدمت إليه عددا من كنوس الخمر حتى فقد السيطرة على دأبه، وغط في نوم عميق، فأخذت مفاتيح الحصن ودفعته إلى أحد المتعاونين معها، بعد أن أدارت كنوس الخمر على حراس الحصن، فتهيأ الأمر لسابور بعد فتح أبواب الحصن، فأهمل السيف في رقاب أهالي الحضرمية ثارا لأخته الأسيرة.

وقد بر سابور بوعده وتزوج النضيرة، ولكنه ما لبث أن قتلها شر قتلة، بعد أن سألها عن حالها أيام حكم والدها، فأجابت بأنه كان يفرش لها الديباج، ويلبسها الحرير، ويطعمها

أزكى الطعام، فتأكد له أنها لن تخلص له، وأنه سيأتي يوم تخونه مثلما خانت والدها، فقال لها: هذا جزاء أبيك ما صنعت به؟! أنت إلي بذلك أسرع، فأمر، فربطت قرون رأسها بذنب فرسين فركضا فتقطعت⁽⁷⁾.

ولفظاعة هذه الخيانة، نجد الشاعر عدي بن زيد يخلدها شعرا لتكون عبرة للأجيال حين قال:

والحضر صابت ⁽⁸⁾ عليه داهية	من فوقه أيّد ⁽⁹⁾ مناكبها
ربيّة ⁽¹⁰⁾ لم تُوقّ والدها	لحينها ⁽¹¹⁾ إذا ضاع راقبها ⁽¹²⁾
إذ أغبقت ⁽¹³⁾ صهباء صافية	والخمر وهل ⁽¹⁴⁾ يهيم ⁽¹⁵⁾ شاربها
فأسلمت أهلها بلبنتها	تظن أن الرئيس خاطبها
فكان حظ العروس إذا جشّر ⁽¹⁶⁾	الصبح دماء تجري سبائبها ⁽¹⁷⁾
وخرّب الحضر، واستبيح، وقد	أحرق في خدرها مشاجبها ⁽¹⁸⁾

وبفضل النساء انتصرت قبيلة بكر بن وائل على قبيلة بني تغلب، فقد خاطب الحارث بن عباد، الحارث بن همام بن مرة زعيم بكر بن وائل ناصحا بقوله: إن القوم مستقلون قومك؛ وهو مما زادهم جرأة عليكم، فقاتلوهم بالنساء، قال له الحارث بن همام: وكيف قتال النساء؟ قال: قلد كل امرأة إداوة من ماء، وأعطها هراوة، واجعل جمعهن من ورائكم، فإن ذلك يزيدكم اجتهدا، وعلموا قومكم بعلامات يعرفنها، وإذا مرت امرأة على صريع منكم عرفته بعلامته فسقته من الماء ونعشته، وإذا مرت على رجل من غيركم ضربته بالهراوة فقتلته، فأطاعوه، وحلقت بنو بكر يومئذ رعوسها لتكون علامة بينهم وبين نسائهم، وبفضل هذه الخطة انتصرت بنو بكر⁽¹⁹⁾.

وقد بلغ من ذكاء المرأة العربية في العصر الجاهلي أنها تمكنت من التعامل مع الرموز (الشفرة) في التواصل مع الآخرين، وهذا يحتاج كما يقول القلقشندي⁽²⁰⁾ إلى: "قوة ذكاء واحتدام قريحة من الذي يقع منه الرمز، وإلى قوة حدس من الذي يحاول إدراك المقصد من تلك المعاني".

إن المصادر التي بين أيدينا لا يوجد فيها ما يثبت أن المرأة العربية قبل الإسلام صاغت رسائل مرمزة في الحقل العسكري أو السياسي، وإنما الذي يرد لا يتعدى نماذج من الرسائل الشفوية المرمزة ذات الطابع الشخصي، التي تؤثر بدون شك إلى ما كانت تتمتع به المرأة العربية من ذكاء وحس أمني قابل للتشكيل والنمو والتطور.

ولعل رسالة زوج امرئ القيس التي تخبره فيها عن أحوال أهلها، وحال هديته، وما اعتراها من نقص نموذج من عدة نماذج تثبت براعة المرأة العربية في صياغة الرسائل المرمزة المفتوحة، وتفصيل الأمر أن امرأ القيس أرسل أحد غلمانها بهدية إلى زوجها، هي بردة محلاة بالقصب، فضلا عن نحيين أحدهما من العسل، والآخر من السمن، ولكن الغلام لبس البردة فانشقت، وأطعم من النحيين بعض من صادفه في الطريق، ثم قدم على سيدته ودفع إليها هديتها، وعندما قفل راجعا حملته الرسالة الآتية لزوجها: "أعلم مولاك أن أبي ذهب يقرب بعيدا ويبعد قريبا، وأن أمي ذهبت تشق النفس نفسين، وأن أخي يراعي الشمس، وأن سماعكم انشقت، وأن وعاءكم نصب".

فقدم الغلام على مولاة وهو يحمل تلك الرسالة التي تحمل في طياتها اتهامه بالنفريط بدون أن يعلم، فأخذ امرؤ القيس يوضح لغلامه محتويات الرسالة بقوله: أما قولها: إن أبي ذهب يقرب بعيدا ويبعد قريبا، فإن أباهما ذهب يحالف قوما على قومه، وأما قولها: ذهبت أمي تشق النفس نفسين، فإن أمها ذهبت تقابل امرأة نفساء، وأما قولها: ذهب أخي يراعي الشمس، فإن أخاها في سرح له يرعاه فهو ينتظر غروب الشمس حتى يروح به، وقولها: إن سماعكم انشقت، فإن البرد الذي بعثت به انشق، وأما قولها: إن وعاءكم نصب، فإن النحيين نقصا، فاصدقني، فأخبره الغلام عن انشقاق البردة، وإطعامه بعض الناس من النحيين⁽²¹⁾.

ويجب ألا ننسى في نهاية هذا المبحث أن المرأة العربية في الجاهلية جعلت من غرس فضيلة الكتمان وحفظ الأسرار محورا مهما من محاور تربيتها لأبنائها، ولعل وصية أمانة بنت الحارث التغلبية، إحدى حكيما العرب عندما زفت ابنتها أم إياس بنت عوف الشيباني إلى زوجها ملك كندة الحارث بن عمرو فيها كثير من الدلالات التي تؤكد تجذر التربية الأمنية لدى العربية، فقد قالت مما قالت: "... أي بنية احملني عني عشر خصال تكن لك ذخرا وذكرًا... إلى أن قالت: ولا تفشي له سرا ... فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره..."⁽²²⁾. إلى غير ذلك من الأمثلة التي لا يتسع المجال لبسطها.

إن هذه المرأة التي تمتعت بكل هذه الخصائص من ذكاء وشجاعة وحس أمني، وإخلاص في المهام التي أوكلت إليها، برغم أميتها، وقساوة محيطها الاجتماعي والجغرافي، سوف تقوم بدور مشرف في خدمة أمن أمتها عندما يعمر الإيمان قلبها، ويفجر طاقاتها الكامنة للتنافس مع الرجال في مختلف الحقول والمجالات، وعلى رأسها العمل الاستخباري الذي انخرطت فيه منذ اليوم الأول ليزوغ فجر الإسلام.

المبحث الثاني

المرأة والعمل الاستخباري في عصر الرسالة

إن المتأمل للسيرة النبوية يلاحظ بجلاء أن المصطفى (ﷺ) منذ اليوم الأول لانطلاق دعوته حرص على استقطاب النساء بالزخم نفسه الذي توجه به إلى الرجال، حتى إن المرأة زاحمت الرجال في كثير من مواقف التضحية والفداء وتنفيذ المهام الصعبة. ولكن هل تسعنا المصادر التي بين أيدينا لتقديم إشارات عن إسهاماتها الاستخبارية والأمنية في خدمة الدعوة الإسلامية في مراحلها الأولى، فضلا عن إبرازها طبيعة المهام التي كانت تقوم بها؟

لقد تمكن المصطفى (ﷺ) في المرحلة المكية من اختراق الجبهة الداخلية لقريش عن طريق النساء، فكان لا يوجد بيت من بيوت مكة المكرمة إلا وفيه امرأة قد دخلت في الإسلام وتعمل عينا للرسول (ﷺ)⁽²³⁾، فكانت المعلومات الاستخبارية تتدفق عليه بدون انقطاع لتضعه في صورة ما تدبره قريش وتخطط له للإيقاع بالمسلمين، فكان الرسول (ﷺ) يجد دوما الوقت الكافي لرسم خطته واتخاذ الإجراءات المناسبة لحماية دعوته وإحباط مؤامرات قريش.

ويبدو أن فاطمة بنت الخطاب (رضي الله عنها) من النساء اللواتي لعبن دورا أمنيا واستخباريا مهما في المرحلة المكية، ولعل ما كانت تتمتع به من ذكاء وقدرة فائقة على إخفاء إسلامها عن قريش، إلى جانب صدقها وإخلاصها في خدمة الدعوة الإسلامية، جعلها محل ثقة المصطفى (ﷺ)، وجعل منزلها أحد المقار الرئيسية للدعوة الإسلامية في طورها السري⁽²⁴⁾، ولعل التحليل يذهب بنا أبعد من ذلك ليؤكد أنها كانت تحتل مكانة قيادية رفيعة بين الكوكبة الأولى من الصحابة الكرام في بداية انطلاق الدعوة.

ومن الدلائل التي تؤكد المكانة القيادية الأمنية لهذه الصحابية، أنه عندما اعتدت قريش ذات مرة بالضرب المبرح على الرسول الكريم وصاحبه أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) وحمل الصديق فاقتدا للوعي إلى منزل والدته المشتركة، وانسحب الرسول (ﷺ) إلى جهة غير معلومة لقريش، نجد الصديق (رضي الله عنه) عندما عاد إليه وعيه، يرسل أمه إلى فاطمة بنت الخطاب لتسألها عن حال النبي (ﷺ)، ولكن فاطمة ذات الحس الأمني المرفه، ظنت أن هذه المشتركة ما جاءت إلا من أجل تحقيق هدفين: الأول: معرفة مكان المصطفى (ﷺ) من أجل ملاحقته، والآخر: التحقق من موقف فاطمة من الدين لتشي بها إلى قريش إن كانت

مسلمة لينالها ما ينالها من العذاب... لذا نجد فاطمة تواجه أم الصديق بكل صرامة، مؤكدة لها أنها غير مسلمة ولا علم لها بمكان الرسول (ﷺ)، لكنها وضعت احتمالية صدق تلك المشركة، وأن الصديق (ﷺ) فعلا أرسلها؛ لذا نجدها تستدرك قائلة: وإن شئت ذهبت وإياك إلى ولدك، فجاءت فاطمة وقالت: يا أبا بكر لا علم لي بمحمد؟! عندها قال الصديق (ﷺ) وقد عرف تحفظها من أمه المشركة، تكلمي يا فاطمة إنها مأمونة، عندها قالت: أما الآن، فهو بخير، إنه في دار الأرقم⁽²⁵⁾.

إن هذه الحادثة تدل دلالة واضحة على أن فاطمة كانت تمثل حلقة وصل مهمة في تنظيم الرسول (ﷺ)، وإلا كيف نفسر معرفتها بأماكن الرسول (ﷺ) في مختلف الظروف؟ إن الراجح أن هناك من كان يزودها أولاً بأول بأخبار تحركاته، وربما هذه القرائن ترجح تبوأها مركزاً قيادياً في دعوة المصطفى (ﷺ) في مكة المكرمة، وإلا كيف نفسر اتصال الصديق بها، وعدم اتصاله بأي أحد من الرجال؟

إن المتعارف عليه أن الذي يعرف تحركات القائد في الظروف الصعبة هم الصفوة من المقربين للقائد، أو - بعبارة أخرى - من يحتلون المراكز القيادية العليا، وهذا يؤكد مرة أخرى مكانة فاطمة القيادية في تلك المرحلة.

لقد تمكنت فاطمة بنت الخطاب (ﷺ) من ترك بصمات واضحة في مسيرة الدعوة إبان مرحلتها السرية، عندما تمكنت من إقناع أخيها عمر (ﷺ) من الدخول في الإسلام لتتقلب الموازين في المجتمع المكي، وتتحول الدعوة من السر إلى العلن، وتحقق الهدف الذي كان يسعى إليه النبي (ﷺ) باستقطاب أحد العمرين للإسلام؛ إذ كان المصطفى (ﷺ) يدعو الله دوماً بأن يعز الإسلام بأحد العمرين.

وتكشف لنا المصادر عن اسم صحابية أخرى تولت مركزاً قيادياً في أواسط النساء، تلك هي أم شريك⁽²⁶⁾، داعية النساء في مكة المكرمة التي كانت تعمل بمنتهى السرية لجذب سيدات مكة للدين الجديد، حتى اكتشفت قريش أمرها، وأدركت حجم خطرها على جبهتها الداخلية، فأصدرت أوامرها بالقبض عليها، وتعذيبها، وبما أنها غريبة عن مكة، أصدرت أوامرها بنفيها من مكة، وهو أول قرار نفي في تاريخ مكة يصدر ضد امرأة، فحملت أم شريك على بعير بدون أقتاب من أجل أن تعاني خلال سفرها، فضلاً عن حرمانها من الماء والطعام والظل في أثناء المسير، ولكنها لم تضعف ولم يتزعزع إيمانها؛ وهو مما أثار إعجاب الرجال الذين كانوا يرافقونها ويسومونها سوء العذاب

وجعلهم يفكرون بهذا الدين الذي زودها بهذه الطاقة والقدرة على تحمل المشاق، فما أن وصلت أم شريك إلى مضارب أهلها حتى أسلم الرجال الذين كانوا يرافقونها⁽²⁷⁾.

وقد تمكنت رقيقة بنت صيفي⁽²⁸⁾ من رصد تفاصيل المؤامرة الكبرى التي حبكتها بطون قريش لاغتيال الرسول (ﷺ) وهو نائم في فراشه؛ إذ قدمت تقريرها بكلمات هي غاية في الإيجاز والتركيز فقالت: "إن قريش تريد بياتك الليلة"، فتحول الرسول (ﷺ) عن فراشه، وبات مكانه على بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وقرر من فوره مغادرة مكة المكرمة بصدبة النصدق (رضي الله عنه) إلى المدينة المنورة⁽²⁹⁾.

وفي أثناء إقامة المصطفى (ﷺ) وصاحبه في غار ثور، كانت أسماء بنت أبي بكر⁽³⁰⁾ تقوم بدور المخبرة السرية لهما، فكانت تزودهما بأخبار تحركات قريش وما تبذله من جهود لإلقاء القبض عليهما، فضلا عن تزويدهما بالمؤن والطعام.

لقد خضعت أسماء لعملية تحقيق قاسية تولاهما أبو جهل الذي حاول استخلاص بعض المعلومات منها عن مكان اختفاء الرسول (ﷺ) مع صاحبه، وعندما فشل في كل محاولاته معها، ضربها على وجهها حتى سقط قرطها من شدة اللطمة⁽³¹⁾.

ولم تصرف قسوة أبي جهل أسماء عن الاستمرار في دورها الاستخباري لإنقاذ قائدها من مطاردة أعدائه، فاستمرت في نقل الأخبار الأمنية للمهاجرين في غار ثور، فضلا عن حمل الرسائل السرية الشفوية بين الرسول (ﷺ) وعلى بن أبي طالب (رضي الله عنه)، فقد كلفها الرسول (ﷺ) بعد ثلاثة أيام من اختفائه بنقل رسالة إلى علي يوضح فيها مكانه، ويطلب منه تجهيز راحلتين للسفر، ويأتي بهما في ساعة متأخرة من الليل في مكان محدد، فأوصلت الرسالة بكل أمانة، ونفذ علي الأوامر بكل دقة⁽³²⁾.

ونخلص مما تقدم إلى أن أسماء كانت تتمتع بصفات استخبارية مثالية، فكانت لياقتها البدنية عالية، وهذا يتضح من تردها أكثر من مرة في اليوم على غار ثور الذي يحتاج الوصول إليه إلى لياقة عالية لأنه يقع في منطقة شديدة الوعورة، كما أن قوة تحمل أسماء لقسوة أبي جهل، وفشله في الحصول على أية معلومات تدل على مكان اختباء المهاجرين دليل على نضج أسماء الأمني وإخلاصها لدينها وقيادتها، إلى جانب قدرتها على التخفي والإفلات من عيون قريش، ونقلها الرسائل لعل في دليل على حدة ذكاء أسماء، وتميزها في رسم الخطط الناجحة التي كفلت لها تأمين تحركاتها واتصالاتها بالرسول (ﷺ) بدون أن

يشعر بها أحد، برغم انتشار عيون قريش في كل مكان، وإعلانها جائزة كبيرة لمن يرشد إلى مكان محمد وصاحبه، أو أسره أو قتله، وانتشار الطامعين في الجائزة من أهل مكة والأعراب الذين كانوا يعيشون حولها، في السهول والوديان والطرق، ورصد كل حركة لكل داخل أو خارج.

وهكذا سجلت أسماء اسمها بوصفها أول عنصر من عناصر الاستخبارات النبوية يتعرض للتحقيق من قيادة الكفر، وتتعرض للضرب من أجل استلال بعض المعلومات الاستخبارية منها، فضلا عن كونها أول امرأة ترصدها المصادر، وهي تقوم بعمل استخباري منظم، أسهم في نجاة قائدها من مطاردة شاملة له من قبل أعدائه.

وفي غزوة أحد في السنة الثالثة من الهجرة، قامت أم عمارة بدور الحارس الأمني للرسول (ﷺ) عندما فر من حوله الرجال وأصبحت حياته عليه أفضل الصلاة والسلام معرضة للخطر، فكانت تدافع عنه من كل الجهات بكل شجاعة، حتى كان الرسول (ﷺ) يقول ما التفت يمينا ولا شمالا إلا ووجدت أم عمارة؛ وهو مما حدا به بأن يبشرها بالجنة، وأن يطلب من أحد المقاتلين بأن يعطيها سيفه لئلا يقتل به، وما أن انجلى غبار المعركة إلا وفيها أكثر من ثمانية عشر جرحا⁽³³⁾.

وعندما تكالبت الأحزاب على المسلمين في المدينة المنورة في السنة الخامسة من الهجرة وخان يهود بني قريظة، وتعرض المسلمون للحظات عصيبة، نجد عمة المصطفى (ﷺ) صفية⁽³⁴⁾ تقوم بدور أمني مشرف بإحباطها محاولة اختراق جواسيس اليهود للجبهة الداخلية الإسلامية، فقد شاهدت صفية أحد جواسيس اليهود يطوف حول الحصن الذي تقيم فيه هي ونساء المسلمين وأطفالهم، لتعرف عوراته، ومعرفة هل هو محروس أو لا، وكان الحصن غير محروس من الرجال، فقالت صفية: إني والله ما أمانة أن يدل على عوراتنا، فأخذت عمودا من حديد ونزلت من الحصن، وترصدت لليهودي فضربته حتى مات، فظن اليهود بعد مقتله أن الحصن محروسة، فصرفوا النظر عن مهاجمتها⁽³⁵⁾.

المبحث الثالث

المرأة وتسرب الأخبار

تحتل المرأة مكانة مهمة في المعادلة الأمنية عند المصطفى (ﷺ) الذي كان يؤمن بأن حصانة الجبهة الداخلية منوطة بدرجة وعيها الأمني، وإدراكها أهمية الكتمان وعدم الثرثرة بالأسرار، فالتاريخ القديم حتى يوم الناس الذي نعيش فيه يحدثنا بأن كثيراً من الأسرار تسربت عن طريق النساء.

فكيف تمكن المصطفى (ﷺ) من تربية المرأة تربية أمنية، وجعلها حارسة أمنية على جبهته الداخلية؟ وما الإجراءات الوقائية التي اتخذها لمنع تسرب أسرارها عن طريق النساء؟

إن من أهم الركائز التي قامت عليها التربية الأمنية للمصطفى (ﷺ) لأتباعه هي الربط بين الأمن والإيمان، فالكل مسئول أمام الله عن الحفاظ على أسرار الدولة والأمة، فالتفريط بأسرار الأمة خيانة عظمى، وجريمة في حق الدين والوطن، ومعلم من معالم النفاق.

ولعل المتأمل لأقوال النبي (ﷺ) وأفعاله التي تشدد على غرس فضيلة الكتمان في وجدان الأمة فيها الدليل والبرهان على أنه عليه أفضل الصلاة والسلام كان يدرك بأن الأمة التي لا تستطيع أن تربي أبنائها ونساءها على حفظ أسرارها لا يمكن أن تحقق الانتصار على أعدائها؛ لذا نجده عليه الصلاة والسلام شديد الصرامة مع أهل بيته عندما يثبت له أن أحدا منهم قد سرب سرا من أسرارها، حتى لو كان هذا السر يتعلق بأمر اجتماعي؛ فها هو يطلق أم المؤمنين حفصة⁽³⁶⁾ طليقة واحدة، عندما تبين له أنها أفشت سرا من أسرارها الاجتماعية الخاصة لزوجها أم المؤمنين عائشة⁽³⁷⁾؛ لأنه يريد أن يوجه أنظار الأمة إلى أهمية تربية المرأة على كتمان الأسرار، فالمرأة التي لا تستطيع حفظ أسرارها الاجتماعية لا يمكن أن تصون أسرار الأمة العسكرية والأمنية.

واستجابة لتوجيهات المصطفى (ﷺ) بضرورة غرس فضيلة الكتمان عند الصغار منذ نعومة أظفارهم، نجد المرأة المسلمة تستغل كل مناسبة لتأصيل هذه القيمة في وجدان أطفالها، فقد روى أنس بن مالك (رضي الله عنه)⁽³⁸⁾ أن النبي (ﷺ) أرسله ذات مرة في حاجة له، فأبطأ على أمه، فلما عاد سألته عن سبب تأخره، فأخبرها بأن النبي (ﷺ) أرسله في حاجة له،

فقالت: وما حاجته؟ فقال: إنها سر، فبادرت الأم إلى القول: لا تخبر بسر رسول الله (ﷺ) أحدا. وفعلا لا نعرف هذا السر حتى اليوم⁽³⁹⁾.

وتضرب لنا فاطمة الزهراء⁽⁴⁰⁾ مثلا آخر في حرصها على كتمان السر حتى في أبسط الأمور الاجتماعية، فعلى سبيل المثال: عندما أسر لها والدها المصطفى (ﷺ) ذات يوم بأنه راحل، بكت، ثم أخبرها بأنها سيدة نساء العالمين، وأنها أول أهله لحوقا به، فضحكت، وعندما سألتها أم المؤمنين عائشة عن سبب بكائها وضحكها، قالت: لا أفشي على رسول الله سره، ولم تحدث به إلا بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى⁽⁴¹⁾، إلى غير ذلك من الأمثلة التي تؤكد تجذر التربية الأمنية في نفوس الصحابييات الجليات.

ومن الشواهد الواضحة التي تشير إلى استعصاء المرأة المسلمة في عصر الرسالة على كل محاولات الاختراق من قبل الأعداء، موقفها من محاولات زعيم مكة المحنك أبى سفيان⁽⁴²⁾ الذي جاء إلى المدينة المنورة بعد نقض صلح الحديبية، ليتعرف موقف الرسول (ﷺ) من ذلك الحدث، ونواياه تجاه قريش، فضلا عن البحث في إمكان تمديد الصلح بين الطرفين، وبعبارة أخرى: كان يقوم بمهمة مزدوجة في ظاهرها دبلوماسية وفي باطنها تجسسية، فنجده عندما فشل في الحصول على ما يريد من الرجال يتوجه إلى النساء، فاتصل بابنته أم المؤمنين أم حبيبة، والتي ردت ردا قبيحا حتى أنها رفضت حتى أن يجلس على فراش الرسول (ﷺ) البسيط؛ لأنه مشرك نجس، فخاطبها عندما رأى صدودها عنه: لقد أصابك يا بنية بعدي شر⁽⁴³⁾، وخرج بدون أن يتمكن من الحصول على أية معلومة مهمة من ابنته التي لم تكن امرأة عادية بل كانت زوجة القائد الأعلى للدولة الإسلامية، والتي لا بد أن تعرف كثيرا من نواياه وتوجهاته.

ولكن أبا سفيان لم ييأس بعد فشله من استخلاص المعلومات التي يريد من ابنته بل نجده يتوجه إلى زوجة قائد مقرب من الرسول (ﷺ)، هي فاطمة الزهراء، زوج علي (عليه السلام)، وابنة القائد الأعلى للدولة، لعله يجد عندها ضالته، فطلب منها أن تتوسط في الأمر وتكلم والدها في الأمر الذي جاء من أجله، وهو تجديد الصلح، فاعتذرت برغم كثرة إحصاءه وأساليبه المتنوعة لإقناعها بالتدخل في الأمر⁽⁴⁴⁾.

وهكذا فشل أبو سفيان في اختراق الجبهة الداخلية عن طريق النساء، وعاد بخفي حنين، لا يعلم ماذا يريد أن يفعل الرسول (ﷺ)؟ وما مخططاته تجاه قريش بعد نقض صلح الحديبية؟

وبرغم هذه التربية الأمنية الراقية للنساء؛ فإن الرسول (ﷺ) كان يدرك طبيعة الضعف الإنساني، وأن المرأة تبقى الحلقة الأضعف والمستهدفة دوماً من الأعداء لاختراق الجبهة الداخلية؛ لذا كان لا بد من تدبير وسعاً في اتخاذ الإجراءات الاحترازية الكفيلة لمنع وصول المعلومات الاستخبارية والعسكرية المهمة للنساء، فنجده يضع قبل خمسة عشر قرناً القاعدة الذهبية التي تُحرّم على الجندي والقائد على حد سواء البوح بأسراره العسكرية إلى أهله خاصة لزوجته، وذلك قبل أن تفتن المدارس العسكرية الحديثة لذلك.

لقد كان عليه أفضل الصلاة والسلام يتكتم على أسرارهِ العسكرية حتى عن أقرب زوجاته إليه، فنجده عندما بدأ يتجهز لفتح مكة المكرمة يتكتم على التصريح بوجهته حتى عن أقرب الناس إليه، فقد دخل الصديق (رضي الله عنه) على ابنته عائشة وزوج الرسول (ﷺ) الأثيرة وسألها عن وجهة الرسول (ﷺ)، فأخبرته أنها لا تدري، وأن الرسول (ﷺ) لم يخبرها بشيء غير أنه يتجهز للغزو، ولم تعلم وجهته إلا بعد أن أحكم أمره وأكمل استعداداته⁽⁴⁵⁾.

وقد قلد قادة الأمة قديهم المصطفى (ﷺ) في حجب الأسرار العسكرية والأمنية عن النساء، فكان بعض القادة المسلمين إذا همهم أمر، أو بدأوا في الاستعداد لمواجهة عسكرية، كانوا يهجرون النساء، فهذا آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد يعتزل النساء ثلاثين شهراً عندما كان يلاحق الثورات التي اشتعلت في دولته، وكان إذا استهدفت له جارية يقول إليك عني⁽⁴⁶⁾، لذا ليس مستغرباً أن ينص علماء الأمة ممن عرّكتهم التجارب على أن إفشاء الأسرار للنساء معلم من معالم العجز فقد قال العلامة ابن الجوزي (597هـ/1200م): "...ومن العجز إفشاء السر إلى الولد والزوجة..."⁽⁴⁷⁾ لا بل عدواً أحزم بيت قالته العرب قول الأخطل، غياث بن غوث شاعر الأمويين:

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء ولو باتت بأطهار⁽⁴⁸⁾

ومن الإجراءات الوقائية التي ابتكرها النبي (ﷺ) لمنع تسرب الأخبار الأمنية للنساء إبداعه ما يعرف باسم الرسائل المكتومة في سرية نخلة التي قادها عبد الله بن جحش⁽⁴⁹⁾، والتي كلفت بمهمة استخبارية في غاية الأهمية؛ إذ طلب منها أن تصل إلى مشارف مكة في موضع يقال له نخلة بين الطائف ومكة، لجمع المعلومات عن تحركات قريش، وحرصاً من الرسول (ﷺ) ألا تتسرب أخبار هذه السرية لإحدى زوجات أفراد السرية، فتنثر بها فتصل إلى حلفاء قريش من اليهود والمنافقين، فيخبروا قريشاً بها، فتعد لهم المراسد وتوقع بهم، من أجل كل هذه المحاذير الأمنية نجده عليه أفضل الصلاة والسلام

يسلم عبد الله بن جحش تعليماته له عبر رسالة مغلقة توجد فيها تفاصيل المهمة، وطلب منه عدم فتحها إلا بعد مسيرة يومين من المدينة ليعرف ما هو مطلوب منه، وقد نجحت السرية في مهمتها في الوصول إلى هدفها والرجوع سالمة بدون أن تتمكن عيون قريش من رصدتها برغم المسافة الطويلة التي قطعها⁽⁵⁰⁾، والمكان القريب الذي وصلت إليه بجوار مكة المكرمة، فضلا عن تعاون اليهود والمنافقين في المدينة مع زعماء قريش.

ولعل إنشاء معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) ديوان الخاتم لمنع تزوير تعليماته، ومنع تسرب أسرارها للعدو والصديق يصب في الهدف الذي كان قد توخاه الرسول (صلى الله عليه وسلم) بضرورة حرص الأمة على كتمان أسرارها واتخاذ التدابير اللازمة لحمايتها.

وقد بذلت الأمة عبر تاريخها الطويل كل ما بوسعها لتطوير حفظ أسرارها بمختلف الوسائل والطرق، ولعل الناظر في تطور الأخبار السرية، والكتابة المرمزة (الشيفرة)، وهذا الكم من المؤلفات التي اعتنت في هذا الجانب يدرك درجة الوعي التي وصلت إليها الأمة إبان فترات ازدهارها الحضاري؛ إذ كانت تؤمن إيمانا قاطعا بأن الأمة التي لا تتجح في كتمان أسرارها يصعب عليها أن تحقق الانتصار على أعدائها.

لقد أدرك علماء الأمة بأن من أفضل الطرق لحفظ أسرار الدولة المهمة هو تشييت الانتباه بإشغال العدو والصديق بموضوع ليس له علاقة بما تخطط له الدولة، وفي هذا الصدد يقول قاضي القضاة يحيى بن أكثم⁽⁵¹⁾ للخليفة المأمون: "يا أمير المؤمنين ليس يستقيم كتمان شيء إلا بإذاعة غيره وإلا وقع الناس عليه"⁽⁵²⁾.

وفي الحقيقة أن يحيى بن أكثم لم يأت بهذه الفكرة من عنده، بل التقطها من سيرة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) الذي كان إذا أراد أن يغزو قوما أشاع بأنه قصد غيرهم، حتى إنه كان يتجه إلى اتجاه معاكس للاتجاه الذي يريده زيادة في إيهام من يراقبه، وكل ذلك حتى لا يتسرب الخبر لأعدائه فيستعدوا، فكان إذا ابتعد واطمأن القوم بأنه لا يقصدهم كر راجعا إليهم وأخذهم على حين غرة.

ولكن التجربة الإنسانية أثبتت أن الإنسان مهما تكتم على أسرارها، وابتكر الوسائل المعقدة لإخفائها، فلا بد أن تتسرب إذا ضعف الإنسان الذي يحملها وتفنن في طرق إخفائها، ولعل خيانة حاطب بن أبي بلتعة⁽⁵³⁾ لقيادته قبيل فتح مكة خير شاهد على ذلك، ففي لحظة ضعف مصدرها حب المال والأهل والولد، ارتكب حاطب الخطيئة الكبرى عندما خط بأنامله رسالة نفسي أسرارها خطيرة لقريش كان يتكتم عليها الرسول (صلى الله عليه وسلم) أشد

التكتم، حتى إنه وضع الحراسات والعيون على مداخل المدينة لمراقبة الداخل والخارج منها، ليحجب الأخبار عن قريش حتى يتمكن من مفاجأة قريش ودخول مكة بدون قتال.

لقد جند حاطب لحمل رسالته الخطيرة تلك إحدى مغنيات مكة التي جاءت إلى المدينة المنورة متظاهرة بالإسلام، تسمى سارة؛ إذ أغراها بالمال والهدايا، فأخذت الرسالة وقتلت عليها إحدى جدليتها، وبعد أن اطمأن على طريقة إخفاء رسالته، سلك بها حاطب طريقاً مهجوراً لم يكن مراقباً من قبل المسلمين، حتى إذا سارت عدة رجال خارج المدينة، أخبر الوحي المصطفى (ﷺ) بأمر الرسالة، فأرسل الرسول (ﷺ) علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) لمطاردة سارة، وأخذ الرسالة منها، وقد دهش الصحابة عندما اكتشفوا بأن الرسالة موجهة من الصحابي البدري، حاطب بن أبي بلتعة إلى كل من: صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل، وقد جاء في الرسالة: "إن رسول الله قد أذن في الناس بالغزو، ولا أراه يريد غيركم، وقد أحببت أن تكون لي عندكم يد بكتابي إليكم".

وعندما استدعى حاطب بن أبي بلتعة للتحقيق ووجهت له تهمة الخيانة العظمى قال مدافعاً عن نفسه: "لا تحجل علي يا رسول الله، إني كنت امرأً ملصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها أهلهم وأموالهم، فأحببت إذا فاتني ذلك من النسب فيهم، أن أتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي، ولم أفعله ارتداداً مني عن ديني، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام"، فقال رسول الله (ﷺ): أما أنه قد صدقكم، وعفا عنه، برغم مطالبة الفاروق (رضي الله عنه) بضرب عنقه (54).

وهكذا تبقى المرأة مدار العمل الاستخباري في عمليات الاختراق بين الأطراف المتصارعة، فهي نقطة الضعف والقوة، وعلى قدر وعيها الأمني، وإدراكها أهمية أمن المعلومات بقدر ما تصعب مهمة اختراقها من قبل أعدائها، فالمرأة هي حجر الزاوية في حصن الأمة الأمني، فالأمة الثائرة دوماً صروحاً منتهارة؛ فرحم الله العلامة الهرثمي (55) حين قال محذراً من مخاطر الثرثرة بالأسرار بدون تحفظ أمام الصغار، أو أمام من تظن أنه لا يعرف اللغة التي تتكلم بها فقد قال: "... أكف لسانك عن فلتة كل منطلق ينكشف بها ما تضر من أمرك، أو تخفيه من شرك ... واعلم أنه قد يستدل بلحن المنطق عن مضمون الستر، ومكنون الضمير، ولا تستهن في إظهار شرك بصغير لصغره، ولا بأعجمي لعجمته، فرب سر مصون قد أذاعوه وأطلعوا عليه ...".

المبحث الرابع

دور المرأة في حماية الأمن الداخلي

أ- مكافحة الحركات المناوئة للدولة:

لقد كان الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور (136-158هـ/754-775م) من أوائل الخلفاء الذين اهتموا بتجنيد المرأة في استخباراته لملاحقة التنظيمات السرية في دولته، فقد تمكنت إحدى مجنداته من كشف لغز المكان الذي كان يختفي فيه الثائر الشهير محمد النفس الزكية⁽⁵⁶⁾ — ذلك الثائر الذي زلزل أركان الدولة العباسية لكثرة أتباعه من جماهير المسلمين، ومناصرة عدد من كبار علماء الأمة له، حتى غدا شغل الدولة الشاغل القضاء عليه — فعلى ضوء تقرير تلك المجندة استدعيت إحدى جوارى محمد النفس الزكية لاستجوابها بعد أن ورد اسمها في التقرير، وأن محمد النفس الزكية قد زارها، وأنها تعلم مكانه، غير أن الجارية أنكرت معرفتها بمكانه، برغم استخدام مختلف الأساليب لإجبارها على الاعتراف، عندها كشف المنصور لها بأن الحجامة التي كانت تتردد عليها موظفة في جهاز استخباراته، وأن البقال الذي اعتادت أن تشتري منه حوائجها هو أيضا من رجال استخباراته، وأنه رفع له تقريراً مفاده أنه في يوم كذا من شهر كذا، عند صلاة المغرب، جاءت أمه تسأل عن حناء، وعندما سألتها عن سبب شرائها لذلك، قالت: كان محمد النفس الزكية في بعض ضياعه بناحية البقيع، وهو يدخل الليلة، فأردن هذا لتتخذ منه النساء ما يحتجن إليه عند دخول أزواجهن من المغيب، عندها اعترفت وأجابته عن كل ما سألها عنه من أمر محمد النفس الزكية⁽⁵⁷⁾.

وقد أسهمت إحدى النساء العباسيات المجندات في الاستخبارات العباسية مساهمة فاعلة في انتصار الجيش العباسي علي جيش محمد النفس الزكية في المعركة الفاصلة التي دارت بينهما في المدينة المنورة؛ فقد كلفت تلك المرأة رجلاً بالصعود إلى مئذنة المسجد ليعلن بأن محمداً قد هزم، ثم ما لبث أن قتل محمد النفس الزكية بسيف العباسيين في 14 رمضان 145هـ الموافق 6 كانون الأول عام 762م.

وهكذا تمكنت هذه المجندة من إثارة الأراجيف والشائعات عن ضعف محمد النفس الزكية، وأن العباسيين انتصروا عليه قبل بدء الاشتباكات العسكرية؛ وهو مما أثر في معنويات أنصار محمد النفس الزكية، حتى لم يبق معه إلا ثلة قليلة من بني أسد⁽⁵⁸⁾.

وتعد الدولة الفاطمية (297-567هـ/909-1171م) من أكثر الدول في تاريخنا الإسلامية التي جندت المرأة على نطاق واسع في أجهزتها الاستخبارية لحماية أمنها الداخلي وملاحقة الخارجين عليها، فقد أثمرت جهود المرأة في مساعدة الأجهزة الأمنية في القضاء على فرقة الحشاشين⁽⁵⁹⁾ في مصر، تلك الفرقة الغالية التي عاثت في الأرض فسادا، واعتالت أكثر من خمسين شخصية إسلامية بارزة وجدت مدونة على لوحة الشرف في قلعة الموت⁽⁶⁰⁾، كان من بينها، الخليفة العباسي المسترشد (529هـ/1134م)، والخليفة العباسي الراشد (532هـ/1137م)⁽⁶¹⁾، والسلطان السلجوقي داود، والوزير نظام الملك⁽⁶²⁾، ومفتي أصفهان، ووالي بيهق⁽⁶³⁾، وأة والأفضل بن بدر الجمالي من كبار قادة الدولة الفاطمية، فضلا عن محاولاتهم المتكررة اغتيال القائد صلاح الدين الأيوبي⁽⁶⁴⁾.

فقد أمر حاكم مصر الفاطمي ولاية القاهرة بتسجيل جميع السكان شارعا شارعا، وحياء، وعدم السماح لأي شخص بالانتقال من بيت إلى آخر إلا بإذن، وعندما عرف كل شيء عن أسماء الناس وألقابهم، وظروف معاشهم، والغرباء الذين يترددون عليهم، سلم تلك القوائم التي تشتمل على أسماء سكان القاهرة إلى الشعبة النسائية في جهاز استخباراته؛ إذ قمن بتفتيش البيوت، وجمع الأخبار، ورفع التقارير عن الأشخاص المشكوك فيهم، وتحديد أماكنهم، وبعدما استكملت لديه قوائم أسماء المطلوبين والمشبوهين والمتعاونين مع الحشاشين، أمر رجال الأمن بالقيام بأوسع عملية مdahمة للأحياء في القاهرة لإلقاء القبض عليهم، فتم اعتقال كثير من عملاء الحشاشين، كان من بينهم مدرسون ومعلمون لأبناء السلطان، كذلك عثر على أموال ورسائل أرسلها الحسن الصباح زعيم الحشاشين لأعرانه في مصر لاستخدامها في تحقيق أهدافه التخريبية في مصر⁽⁶⁵⁾.

وهكذا ظهرت مصر من عناصر هذه الفرقة الغالية بفضل الجهود الجبارة التي بذلتها المرأة في جمع المعلومات التفصيلية عن كل من يتعاطف مع هذه العناصر المنحرفة، فكانت الدليل والهادي لرجال الأمن في مdahمة أوكارهم وأماكن اختفائهم، وكشف الغطاء الذي كانوا يتسترون تحت مظلته.

ب- ملاحقة الأشقياء والمجرمين:

يبدو أن الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) (13-23هـ/634-643م) من أوائل من تنبه إلى أهمية المرأة في الكشف عن الجرائم، من خلال تجنيدها وتدريبها على تقصي المعلومات عن المجرمين، فقد نجحت إحدى النساء اللواتي جندهن الفاروق (رضي الله عنه) في الكشف عن جريمة قتل مروعة ضجت لها عاصمة الدولة الإسلامية المدينة المنورة، فقد عثر المسلمون على شاب قتيل ملقى على قارعة الطريق، ولم يعرف قاتله، حتى إذا مر عام على هذه الجريمة، وجد في المكان نفسه صبي حديث الولادة، فدفعه الفاروق (رضي الله عنه) إلى إحدى النساء لتقوم برعايته مقابل أجر معين، وكلفها في الوقت نفسه أن تتسقط الأخبار عن والدته الطفل، وأرشدتها إلى نوع من الملاحظة للتعرف إلى أم الصبي، فقال: انظري من يأخذ منك الطفل، فإذا وجدت امرأة تقبله وتضمه إلى صدرها، فأعلميني بمكانها.

وما هي إلا مدة يسيرة حتى حدث ما توقعه عمر (رضي الله عنه)؛ إذ جاءت جارية، وقالت للمرأة التي تحتضن الطفل: إن سيدتي بعثتني إليك لتبعثني بالطفل إليها لتراه، وترده إليك، فذهبت المرأة مع الجارية وهي تحمل الطفل، فلما دفعته إلى سيدة الجارية أخذته وقبلته وضمته إلى صدرها، فأخبرت المرأة عمر بكل تفاصيل اللقاء بين الطفل وتلك السيدة، وما صاحب ذلك من تعبيرات بكل صدق وأمانة، فتوجه عمر (رضي الله عنه) من فوره إلى منزل تلك السيدة ووجه إليها تهمة القتل، وبعد تهديدها، اعترفت بأنها هي التي قتلت ذلك الشاب الذي وجد ملقى على قارعة الطريق قبل عام، وبيّنت أنها قتلته دفاعاً عن نفسها وعرضها.

لقد أوضحت للفاروق (رضي الله عنه) أنها كانت ضحية مكر عجوز لا تخاف الله، كانت تتردد عليها، فاتخذتها أما حيناً من الدهر، ثم إن هذه العجوز استأذنت في الرحيل، وطلبت أن تضم إليها ابنة لها حتى تعود من سفرها، فعمدت إلى ابن لها أمرد فهبأته كهينة الجارية وأنتها به، وهي لا تشك أنه جاريه، فكان يرى منها ما ترى الجارية من الجارية، فاعتقلها ذات ليلة وهي نائمة وخانلها فقتلته، وألقت به على قارعة الطريق، فاشتملت منه على هذا الطفل، فلما وضعته القته في موضع أبيه، وأقسمت له أنها صادقة في روايتها، فصصدقها وأثنى عليها⁽⁶⁶⁾.

ويظهر أن الخليفة العباسي المأمون (198-218هـ/813-833م) من أشهر خلفاء الدولة العباسية الذين اعتنوا باستثمار طاقات النساء في ملاحقة من يحاولون تعكير صفو الأمن في دولته، ويبدو أنه أنشأ دائرة خاصة في استخباراته للنساء؛ إذ كانت تضم هذه

الدائرة ألفا وخمسمائة عجوز في بغداد لوحدها، كن يتعقبن الأشقياء ومن يحاول أن يفسد حرم المسلمين ويلاحقهم.

ومن أجل إعطاء هذه الدائرة مزيداً من المرونة جعلها تابعة له بشكل مباشر، فكانت التقارير ترفع إليه مباشرة في دار الخلافة فتصدر الأوامر والتوجيهات على ضوء تلك التقارير بأقصى سرعة ممكنة للقضاء على الجرائم في مهدها واعتقال من تسول له نفسه تعكير صفو الأمن في بغداد⁽⁶⁷⁾.

ج- مراقبة كبار رجالات الدولة:

يعد الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أول من وضع نواة المراقبة لكبار موظفي دولته، عندما عين محمد بن مسلمة مفتشاً عاماً على الولاة، وكلفه برفع تقارير مفصلة عن أحوالهم ومدى التزامهم بتعليمات الخليفة، فضلاً عن رصد رأي الرعية فيهم، ومراقبة نشاطاتهم المالية وإحصاء ثرواتهم قبل الولاية وبعدها⁽⁶⁸⁾.

على أن الأمور تعقدت بعد أحداث الفتنة الكبرى وظهور الأحزاب والفرق المختلفة والتي حرصت على مر فترات تاريخنا على استقطاب الأنصار من العامة والقادة؛ وهو مما حتم على الدول الإسلامية المتعاقبة أن تراقب كبار الشخصيات في بلاطها بطرق خفية لرصد أي تغيير في ولائهم للدولة، فكان على سبيل المثال الخليفة العباسي المهدي (158-169هـ/775-785م) يجند النساء لمراقبة تحركات كبار رجال بلاطه واتصالاتهم، ويحاول معرفة مواقفهم من الحركات المناوئة للدولة، فكانت تأتيه التقارير التي ترصد تصرفات كبار قادته ووزرائه في الليل والنهار من تلك النسوة التي نجحت الاستخبارات العباسية في غرسهن في بيوت هؤلاء الرجال، وكان المهدي على هدي تلك التقارير يحدد مواقفه ويتخذ قراراته.

ومن الأمثلة الدالة على نجاح تلك النسوة في رفع تقارير مهمة عن كبار رجالات المهدي، ما حصل للوزير يعقوب بن داود، الذي كان المهدي قد أهدها جارية من جواريه كانت مجنونة في الاستخبارات العباسية، وكانت تنقل إلى المهدي كل حركات الوزير يعقوب أولاً بأول، إلى أن حصل المحذور، عندما تواطأ الوزير مع أحد الثوار العلويين⁽⁶⁹⁾ ممن وقع في قبضة المهدي؛ فقد أمر المهدي وزيره يعقوب بقتل العلوي الأسير، ولكنه بدلاً من ذلك عفا عنه، وأعطاه الأمان، وأمر رجلين من رجاله بمرافقته حتى يبلغ مأمنه، كل ذلك كان يحدث على

مسمع ومراى من الجارية التي كتبت تقريراً عن كل ما حدث. وبعثت به على وجه السرعة إلى الخليفة المهدي الذي أمر من فوره بمطاردة العلوي وإبقاء القبض عليه، وبعد إحضار العلوي، طلب المهدي وزيره يعقوب ليسأله عن العلوي، فقال: أرحنك منه يا أمير المؤمنين، فقال المهدي: مات، فقال الوزير: أجل، وكرر الخليفة السؤال مراراً، والوزير يؤكد له أنه تم تنفيذ حكم الإعدام بالعلوي حسب أوامر الخليفة، عندها أمر المهدي بأن يخرج العلوي، ومعه المال الذي أعطاه إياه الوزير، فبهت الوزير، فأمر المهدي بسجنه عقوبة لخيانته وتعاونيه مع الخارجين على الدولة⁽⁷⁰⁾.

ويبدو أن تفاقم مشكلة تغير ولاءات كبار رجالات الدولة العباسية، وفساد ذمم بعضهم، وولوغهم بأموال الناس حتم على الدولة إنشاء ديوان خاص لمراقبة كبار رجالات الدولة من وزراء وكتاب وحجّاب، وعمال وولاة أطلق عليه ديوان الاستخراج الذي كان يشرف على معاقبة من تثبت إدانته ومصادرة أمواله، وقد بقي هذا الديوان يمارس دوره الرقابي حتى فترة متأخرة من التاريخ العباسي⁽⁷¹⁾.

المبحث الخامس

دور المرأة في اغتيال القيادات المعادية

لعل جنوبي الجزيرة العربية مدين لإحدى المجندات في الاستخبارات الإسلامية في تحريره من قبضة الأسود العنسي⁽⁷²⁾ الذي ارتد عن الإسلام وأعلن نفسه نبيا مرسلا، وسيطر على نجران، وصنعاء، وأجزاء كبيرة من اليمن، وقتل الناس بسحره حتى كثر أتباعه، وأخذ يهدد الدولة الإسلامية في السنة الأخيرة من حياة المصطفى (ﷺ)، فأمر الرسول (ﷺ) ولاته على اليمن بمحاربته والقضاء على فتنه بكل الوسائل، فاستجاب الرجال والنساء لأوامر قائدهم، وهبت زوجة معاذ بن جبل تحرض قومها من بني سكون على قتال الأسود، ولكن الجهود لم تنجح في هزيمته طوال أكثر من ثلاثة أشهر من عام (11هـ/632م). ولم يتمكن المسلمون من التخلص منه، إلا عن طريق امرأة جندتها الاستخبارات الإسلامية. فكيف تمت عملية التجنيد؟ وكيف نفذت عملية اغتيال هذا الطاغية وتخليص الأمة من شره؟

لقد كان من أبرز قادة الأسود العنسي، قيس بن عبد يغوث، وفيروز الديلمي، وكانا على إسلامهما، ولكنهما كانا يتظاهران بالولاء والإخلاص للأسود، ويعملان في الخفاء على التخلص منه، على أنه كانت هناك عقبة كانت تحول دون تمكنهما من اغتياله؛ هي الحراسات المشددة، والعيون المبتوثة في كل مكان.

أمام هذه العقبات لم يجدا أفضل من تجنيد زوجة الأسود زاذ لمساعدتهما على اغتياله، خاصة أن زاذ كانت تكره الأسود كرها شديدا؛ لأنه قتل زوجها حاكم صنعاء شهر بن باذام وتزوجها عنوة.

وقد بدأت عملية التجنيد لزوجة الأسود باتصال قيس بن عبد يغوث بها؛ إذ ذكرها بما فعله الأسود بأهلها وزوجها لكسب تعاطفها وتشجيعها على مساعدتهم، فقد قال لها: يا ابنة عمي قد عرفت بلاء هذا الرجل عند قومك، قتل زوجك، وفضح النساء، فهل عندك ممالة عليه؟ قالت: على أي أمر؟ قال: قتله، قالت: نعم والله ما خلق الله شخصا هو ابغض إلي منه، فما يقوم الله على حق، ولا ينتهي له عن حرمة، فإذا عزمتم فأخبروني، أعلمكم بمأتي هذا الأمر.

ولعله أراد من مغامرته بالاتصال بزوجة الأسود اختبار يقظة عيون الأسود فإذا اكتشف أمره وقتل يبقى فيروز ليقود عملية أخرى، مستغلا قرابته من زوجة الأسود؛ لأنه لو شرع فيروز فى الاتصال بابنة عمه قبل أن يعرف نواياها وتم قتله، فشلت كل العملية.

انطلق فيروز من فوره بعد أن أعطاه قيس الضوء الأخضر للاجتماع بابنة عمه زوجة الأسود التي أخذت تشرح له أفضل الطرق لقتل زوجها، فأوضحت له أن جميع حجر البيت محاطة بالحراسات باستثناء حجرة واحدة ظهرها إلى مكان كذا وكذا من الطريق، وطلبت منه إذا أظلم الليل أن ينقبوا عليه من الجهة غير المحروسة، وتعهدت بتوفير السلاح والإضاءة لهما.

ولسوء حظ فيروز تلقاه الأسود عند خروجه من منزل ابنة عمه، فقال له: ما أدخلك على أهلي؟ فضربه حتى شج رأسه، فصاحت المرأة، فأدهشته عنه، ولولا ذلك لقتله، وقالت: ابن عمي جاءني زائرا، فقال: أسكتي لا أبا لك قد وهبته لك. فخرج فيروز على أصحابه في حال من الهلع وأخبرهم الخبر، فحاروا في أمرهم، كيف يجددون الاتصال بزواج الأسود لاستكمال خطتهم في اغتيال هذا الطاغية؟

في هذه الظروف الصعبة التي كادت تصرفهم عن مواصلة تنفيذ خطتهم، وصلت رسالة من زوجة الأسود تشجعهم على الاستمرار في مخططهم فقد جاء في رسالتها الاستخبارية: "لا تنتثوا عما كنتم عازمين عليه".

وبما أن المهمة في غاية الصعوبة والخطورة قرر فيروز المخاطرة مرة أخرى في الدخول على ابنة عمه ليستوثق منها ووضع اللمسات النهائية على خطة اغتيال الأسود، والتفقت معه على أن تدخل مجموعة من الرجال إلى ذلك البيت الذي وصفته لهم لينقبوه من الداخل ليسهل عليهم النقب من الخارج، وتم ذلك بسرعة متناهية وبسرية تامة، وخرج الرجال بسلام.

وقبل أن يتمكن فيروز من المغادرة شعر بمقدم الأسود، فجلس عند ابنة عمه على هيئة زائر لها، فقال الأسود: ما هذا؟ قالت: إنه أخي من الرضاعة، وابن عمي، فنهزه، وأخرجه فرجع إلى أصحابه ليخبرهم بنجاح الجزء الأهم من الخطة.

ويبدو أن زوجة الأسود بالغت ليلة تنفيذ عملية الاغتيال من تقديم كئوس الخمر له، حتى غط في نوم عميق، وجلست عند رأسه تنتظر دخول فيروز وأصحابه، وفعلًا، ما

هي إلا برهة من الزمن حتى نقبوا ذلك البيت، فوجدوا سراجا، ووجدوا زادا في انتظارهم، ووجدوا الأسود نائما على فراش من حرير، وقد غرق رأسه في جسده من شدة السكر، فعالجه فيروز وقتله، والمرأة تشجعه على التأكد من قتله، حتى إنهم عندما أرادوا احتزاز رأسه، ذهب بكل شجاعة تأخذ بشعره ليسهل حز ذلك الرأس الضال.

ولعل ارتفاع الأصوات في أثناء تنفيذ العملية جعل الحرس يتوجهون إلى ذلك البيت، فقالوا: ما هذا؟ فتصدت لهم المرأة بكل رباطة جأش وقالت: النبي يوحى إليه، فرجعوا بدون أن يدخلوا ذلك البيت، وبذلك حمت زاد فيروز وأصحابه من الوقوع في أيدي الحرس.

وبعد نجاح المهمة، صعد قيس على سور الحصن، ونادى بالأذان، وقال: أشهد أن محمدا رسول الله، وأن عبيلة كذاب (الأسود العنسي)، وألقى برأسه فانهزم أنصاره، وتبعهم الناس يأخذونهم ويأسرونهم، وظهر الإسلام وأهله وكتبوا بالخبر إلى رسول الله (ﷺ) الذي أطلعه الوحي على الخبر من ليلته⁽⁷³⁾.

وهكذا كانت نهاية هذا الطاغية على يد تلك المرأة الشجاعة التي رسمت خطتها المحكمة لاغتياله، والتي تمكنت من اختراق كل الاحتياطات الأمنية التي وضعها زوجها لحماية نفسه؛ إذ كان لا يتوقع أن تتآمر عليه زوجته، ناسيا المثل العربي الشهير، يؤتى الحذر من مأمنه، فكان من ثمار قتل هذا الطاغية أن عاد جنوبي الجزيرة العربية إلى الإسلام.

ولم تكن زاد زوجة الأسود العنسي الوحيدة في تاريخنا التي قدمت محبة دينها على محبة زوجها، فهناك ست الملك بنت العزيز بالله التي خلصت الأمة من شرور أخيها الحاكم بأمر الله بعد أن ادعى الألوهية، وهتك ناموس الشريعة، وقتل الأبرياء، واستباح النساء، ونهب البيوت والأموال.

لقد هال ست الملك ما آل إليه حال أخيها، فأخذت تخطط لتخليص مصر من شره، فاتصلت بسيف الدولة بن دواس، لمعرفتها بأن علاقته مع الحاكم بأمر الله ليست على ما يرام، فأرسلت إليه أحد خدماها لتبلغه أنها تريد الاجتماع به بعيدا عن العيون، فكان نص رسالتها إليه "لا بد لي من الاجتماع بك، فإما تنكرت وجئتني ليلا، أو فعلت ذلك أنا".

ويبدو أنها بعد دراستها للأمر رأت أنه من الأنسب أن تذهب هي إليه في منزله؛ لأن ذلك أحوط من الناحية الأمنية، فتوجهت إليه ليلا وهي متكرة، ولم تصحب معها أحدا؛ إذ

اتَّفَقَ على خطة لاغتيال الحاكم، بعد أن أوضحت إليه أن البلاد على وشك الثورة عليه لأنه ادعى الألوهية، وزاد جنونه. ومن أجل تشجيع سيف الدولة على الموافقة، أغدقت عليه العطايا والهبات، ووعدهت بآرفع المناصب إذا نجحت الخطة وقتل الحاكم بأمر الله.

وبدأت الخطوة الأولى من الخطة بتجنيد عبيدين من عبيد سيف الدولة، مقابل ألف دينار، ومجموعة من الهدايا والملابس الفاخرة، وبعض الإقطاعات، وكانت التعليمات الموجهة إليهما تقضي بالفتك بالحاكم عندما يخلو بنفسه كالعادة في جبل المقطم، بالانقضاض عليه بحربتين مغربيتين جهزتهما لهما ست الملك. ونجحت عملية الاغتيال وقتل الحاكم بأمر الله في شوال عام (411هـ/1020م)، وتخلصت مصر بفضل هذه المرأة من هذا المدعي الذي عانت منه مصر أشد المعاناة⁽⁷⁴⁾.

أما زمرد بنت جاولي (ت529هـ/1134م) أخت الملك الدقاق صاحب دمشق، والتي كانت تعرف بالعقل والحزم والدين، فقد وضعت حدا لحياة ولدها شمس الملوك إسماعيل، عندما خان دينه وأمه، وتعاون مع الصليبيين، وتمادى في غيه وأكثر من سفك دماء الأبرياء، فقد أمرت غلمانها بقتله⁽⁷⁵⁾، مؤثرة مصلحة دينها ووطنها على حبها لأخيها، مصداقا لقوله تعالى ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان﴾⁽⁷⁶⁾.

وفي المقابل لم يغفل أعداء الأمة أيضا عن تجنيد المرأة لاغتيال كبار الشخصيات في المعسكر الإسلامي، فقد استغل يهود خيبر حقد زينب بنت الحارث بن سلام على رسول الله ﷺ؛ لأنه قتل زوجها سلام بن مشكم، وعمها مرحب، ووالدها، لتجنيدها لاغتيال المصطفى ﷺ؛ إذ رحبت بالفكرة، واقتربت أن يكون الاغتيال عن طريق أخطر أنواع السموم وهو السم الذي يطلق عليه اسم (لابطي)، ذلك السم الذي يقتل متناوله في الحال، فوضعت في شاة مشوية، وزادت من كمية السم في الذراع والكتف، عندما علمت بأن أحب شيء للرسول ﷺ في الشاة الذراع والكتف.

ومن أجل ألا يساور الرسول ﷺ شك في الطعام الذي يقدم إليه، عمدت تلك اليهودية إلى إهداء الشاة المشوية إلى أم المؤمنين صفية التي قدمتها إلى الرسول ﷺ وصاحبه بشر بن البراء، فتناول الرسول ﷺ الكتف، وفي رواية الذراع، فانتهش قطعة فلاكها، ثم ألقاها ولم يبتلعها، وانتهش بشر منها قطعة فابتلعها، ثم نهى المصطفى ﷺ عن تناول شيء

منها، ولكن بشر لم يقم من مكانه، وتحول لونه إلى السواد من شدة السم، وما لبث أن فارق الحياة.

وعلى أثر ما حدث أمر النبي (ﷺ) بالتحقيق مع زينب التي اعترفت بأنها التي دست السم في الشاه بقصد قتل النبي (ﷺ)، وعندما سألها عليه السلام عن الدافع وراء ذلك؟ أجابت بكل صراحة، لقد بلغت من قومي ما لا يخفى عليك قتلت زوجي وأبي وعمي، فقلت إن كان نبيا فسيخبره الله، وإن كان ملكا استرحنا منه، فأمر بقتلها قصاصا لأنها تسببت في قتل بشر بن براء⁽⁷⁷⁾.

المبحث السادس

المرأة غير المسلمة في الاستخبارات الإسلامية

لقد تنبّهت الاستخبارات الإسلامية منذ بدء الفتوحات الإسلامية إلى ضرورة الإفادة من أهالي البلاد المفتوحة من غير المسلمين في جمع المعلومات، ومكافحة عمليات التجسس، ففتحت المجال أمام نصارى العرب والمعاهدين للانضمام إلى صفوفها، كما اشترطت على أهالي البلاد المفتوحة التعهد بتقديم المعلومات الاستخبارية للمسلمين، وعدم إيوائهم جواسيس الأعداء، حتى غدا نصارى العرب في الشام عيوناً للمسلمين⁽⁷⁸⁾.

وقد ظهر تجنيد النساء غير المسلمات في الاستخبارات الإسلامية بوضوح إبان الحروب الصليبية، وتحديدًا منذ قيام الدولة الأيوبية في مصر عام (567هـ/1171م) التي أخذت على عاتقها مسؤولية تحرير بلاد المسلمين من الصليبيين، وهذا تطلب منها استثمار كل الطاقات والإمكانات المتاحة لتحقيق هذا الهدف، فعملت الاستخبارات الأيوبية على اختراق الجبهات الداخلية للممالك الصليبية عن طريق النساء، فتمكنت قبيل معركة حطين عام (583هـ/1187م) من تحقيق اختراق استخباري كبير من خلال استمالة زوجة أمير إنطاكية بوهيموند الثالث، السيدة سيبيل، والتي كانت تزود صلاح الدين الأيوبي بأدق التفاصيل عن خطط الصليبيين وتحركاتهم أولاً بأول. وقد وضع المؤرخ ابن الأثير (ت630هـ/1238م)⁽⁷⁹⁾ دور سيبيل في خدمة الاستخبارات الأيوبية بقوله: "أن أميرة إنطاكية كانت ترسل صلاح الدين وتهاديه، وتعلمه كثيرا من الأحوال التي يؤثر علمها".

أما المؤرخ أبو شامة فيقول مؤكداً دورها الاستخباري: "وكانت امرأة أبرنس إنطاكية وتعرف بدام (مدام) سيبيل في مولاة السلطان عينا له على العدو، وتهاديه وتناصحه، وتطلعه على أسرارهم، والسلطان يكرمها لذلك ويهدي أنفس الهدايا"⁽⁸⁰⁾.

ومن الخدمات الجليلة التي قدمتها سيبيل لصلاح الدين، أنها كشفت له بعض أسرار الصليبيين، ومواطن ضعفهم، في أثناء محاصرته لقلعة برزیه⁽⁸¹⁾ في الساحل الشامي؛ وهو مما مكنه من فتح هذه القلعة الحصينة التي استعصت عليه زمنا طويلا؛ إذ كانت صاحبة القلعة أخت سيبيل، والتي أسرتها القوات الأيوبية، بيد أن صلاح الدين الأيوبي أطلق سراحها، وأرسلها معززة مكرمة إلى إنطاكية بصحبة زوجها وجماعة من أصحابه،

وكل ذلك كان تقديراً للأميرة سبيل؛ يقول ابن شداد: أطلق سراح صاحب برزيه مع سبعة عشر نفساً وأنفذهم إلى صاحب إنطاكية استمالة له⁽⁸²⁾.

وتمكنت الاستخبارات الأيوبية في عهد الملك عيسى بن الملك العادل (615-623هـ/ 1218-1226م)، من تجنيد بعض الصليبيات، فكن يرسلن إلى الاستخبارات الأيوبية بأخبار تحركات الجيوش الصليبية أولاً بأول مما فوت على الصليبيين فرصة مباغاة الجيوش الإسلامية، وقد تمكنت إحدى المجندات الصليبيات في جهاز الاستخبارات الأيوبي من الكشف عن مخطط عسكري خطير لملك الصليبيين فريدريك الثاني الذي كان يهدف إلى مباغاة الجيوش الأيوبية ودخول دمشق⁽⁸³⁾.

وفي المقابل حاول الصليبيون جهدهم اختراق الجبهة الداخلية للمسلمين في عصر الدولة الأيوبية عن طريق النساء، غير أنهم فشلوا بفضل وعي الاستخبارات الأيوبية بخطط أعدائها، والتدخل في الوقت المناسب لإحباطها، ورغم أن الصليبيين لم يتركوا وسيلة من الوسائل، ولا حيلة من الحيل إلا استخدموها، لا بل لم يتركوا شريحة من شرائح المجتمع إلا حاولوا جس نبضها من أجل اختراقها ولكن بدون جدوى.

ولعل من أبرز الأساليب التي استخدمتها الاستخبارات الصليبية لاختراق الجبهة الداخلية للمسلمين في بلاد الشام، محاولتها استخدام المومسات لإفساد الشباب من جانب، وجمع المعلومات الاستخبارية ممن يتردد عليهم، ووقع في الرذيلة من جانب آخر.

ويشخص لنا مؤرخ الدولة الأيوبية أبو شامة وعي الاستخبارات الأيوبية بمخططات الاستخبارات الصليبية حين قال: "ووصلت في مركب ثلاثمائة امرأة فرنجية مستحسنة، اجتمعن في الجزائر، وانتدبن إلى الجزائر، واعتبرن لإسعاف الغرباء، وقصدن بخروجهن تسبيل أنفسهن للأشقياء، وأنهن لا يمتنعن من الغرباء، ورأين أنهن لا يتقربن بأفضل من هذا القربان، وزعمن أن هذه قربة ما فوقها قربة، لاسيما من اجتمعت فيه عُرْبَة وغربة، وأبق من عسكرنا من المماليك الأغبياء، والمدابير الجهلاء جماعة جذبهم الهوى وابتغوا من غوى منهم، من رضي اللذة بالذلة..."⁽⁸⁴⁾.

إن هذا النص يوضح أن الاستخبارات الصليبية قد حققت بعض النجاحات عن طريق تردد بعض الجند الإسلامي على هؤلاء النسوة، على أن هذه الشريحة كانت من بعض المماليك الذين كانوا لا يشكلون إلا نسبة ضئيلة في الجيش الأيوبي.

وهذا النص يكشف بكل وضوح مخططات الاستخبارات الأجنبية منذ قرون لإفساد المجتمعات الإسلامية، والقضاء على القوة الفاعلة فيها من الشباب، حتى تسهل السيطرة عليها والاستحواذ على ثرواتها واستعباد شعوبها.

أجل يجب أن يسجل التاريخ بأحرف من نور أن تاريخ الاستخبارات الإسلامية لم يسجل حالة واحدة استخدمت فيها الرذيلة من أجل الحصول على المعلومات مهما كانت مهمة، وذلك عكس الاستخبارات عند الآخر التي تفخر باستخدام المومسات والراقصات والمغنيات، والمخدرات لتحقيق أهدافها الاستخبارية، وبعبارة أخرى كل وسيلة تحقق السيطرة والاستحواذ، وإذلال الأغيار لا معنى فيها لشيء اسمه حرام.

الخاتمة

وفي ختام هذه الدراسة يمكن تسجيل الملاحظات الآتية:

أولاً: إن الإشارات المتناثرة في مصادرنا التراثية تشير إلى تمتع المرأة العربية قبل الإسلام بقدر عال من الكفاءة والذكاء والشجاعة في أثناء تأديتها بعض المهام الاستخبارية، ناهيك من وضعها بعض القواعد العامة في عالم التجسس التي لا يزال يعمل ببعضها حتى اليوم، خاصة فيما يتعلق بعمليات الخداع وإرهاق الضحية المستهدفة، فضلاً عن صياغتها بعض الرسائل السرية المفتوحة التي تظهر ما كانت تتمتع به من قدرة عالية على الملاحظة.

ثانياً: إن المرأة المسلمة انخرطت في الاستخبارات الإسلامية منذ اليوم الأول لتأسيسها على يد المصطفى (ﷺ).

ثالثاً: إن التاريخ لم يحدثنا عن حادثة واحدة أسهمت فيها المرأة المسلمة في تسريب معلومات مهمة للأعداء في القرون الأولى من تاريخ الأمة، برغم المحاولات الجادة من قبل الأعداء لاختراق الجبهة الداخلية عن طريق النساء.

رابعاً: إن الرسول (ﷺ) وضع قبل خمسة عشر قرناً القاعدة الأمنية الذهبية التي تنص على عدم بوح الجندي والقائد على حد سواء بأسراره العسكرية إلى زوجته وأفراد أسرته.

خامساً: من الإجراءات الوقائية التي اتخذها المصطفى (ﷺ) لتحصين الجبهة الداخلية من الاختراق: الربط بين الإيمان والأمن، وعد العجز عن حفظ الأسرار معلماً من معالم ضعف الإيمان، فضلاً عن إيداعه نظام الرسائل المكتومة، إلى جانب تركيزه على غرس قيمة الكتمان في نفوس أبناء الأمة منذ المراحل العمرية الأولى.

سادساً: إن سجل المرأة في الاستخبارات الإسلامية حافل بالإنجازات والنجاحات ولم يحدث أنها كلفت بمهمة وفشلت بها، فكان أثرها واضحاً في خدمة الأمن الداخلي وتعبقب الخارجين على الدولة والقانون.

سابعاً: تعد الدولة العباسية من أشهر الدول الإسلامية التي اعتنت بتجنيد المرأة في أجهزتها الاستخبارية.

ثامناً: أسهمت المرأة في العصر الفاطمي في إنجاح أوسع عملية مطاردة وملاحقة لفرقة الحشاشين الغالية في مصر.

تاسعاً: إن الاستخبارات الأيوبية بلغت درجة عالية من الاحتراف مكنتها من اختراق الجبهة الداخلية للممالك الصليبية، وتجنيد كثير من النساء الصليبيات في صفوفها؛

وهو مما ساعد على تحقيق عدد من الانتصارات، وإفشال عدد من المخططات التي كان يخطط لها قادة الجيوش الصليبية للإيقاع بالجيوش الأيوبية.

وبعد... فهذه الدراسة لا تعدو كونها دراسة مدخلية لهذا الموضوع الحيوي الذي يحتاج إلى مزيد من البحث والاستقراء واستتطاق النصوص؛ لذا فالدراسة ترداد مع الشاعر الذي يقول:

وقل لمن يدعي في العلم فلسفة حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش

- (1) يذكر الحافظ بن عساكر أن عدد شيوخه وأساتذته من النساء كان بضعا وثمانين أستاذا، كما كان من ضمن من درس الإمام الشافعي، والإمام البخاري، وابن خلكان، وابن حبان، عدد من النساء ممن بلغن درجة علمية رفيعة، وذهب أبو إسحاق الإسفراييني إلى أن الأحكام والأحاديث التي يرويها الرجال والنساء إذا تعارضت، فالمقدم مروي المرأة؛ لأن كثيرا من النساء أضبط من كثير من الرجال، وقد صوبه الزركشي، وأقره العرافي، انظر على سبيل المثال: عبد الحي الكتاني: نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت، ج2، ص35، هذا وقد أفرد ابن سعد في طبقاته الكبرى جزءا كاملا لتراجم النساء، فكيف إذا نظرنا في كتب التراجم المتأخرة؟
- (2) جاءت لفظة الاستخبارات في معاجم اللغة بمعنى السؤال عن الخبر، ولا تخرج كثيرا عن هذا المفهوم في دوائر المعارف والمعاجم العسكرية، فهي تدور في جملتها حول اتباع خطى متناسقة ومدروسة وموجهة لاستخدام مختلف الوسائل المتاحة للحصول على مختلف أنواع المعلومات عن الخصم والحليف والمحايد، ومن ثم تصنيفها وتقييمها وتحليلها، وتفسيرها لإمداد المسؤولين بالحقائق والتفديرات الواقعية في الوقت المناسب لوضع استراتيجية الدولة في مختلف المجالات انظر: ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب، بيروت، دار صادر، 1956م، ج4، ص226؛ صلاح نصر: حرب العقل والمعرفة، الوطن العربي للنشر والتوزيع، ط3، 1985م، ص132-134.
- CHERMN.KENT, THE STRATEGIC INTELLIGENCE FOR AMERICAN WORLD POLICY 1953.
- (3) محمد ضاهر وتر: مكانة المرأة في الشؤون الإدارية والبطولات القتالية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1979م، ص226.
- (4) عمر رضا كحالة: أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت، ج2، ص249-250.
- (5) إمارة عربية معاصرة لإمارة تدمر، يرجع تأسيسها إلى القرن الأول قبل الميلاد، وقد بلغت أوج ازدهارها في القرن الثالث الميلادي. لمزيد من التفاصيل عن هذه الإمارة انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، بيروت، دار القلم، د.ت، ج1، ص73-74؛ البيهقي، إبراهيم: المحاسن والمساوئ، تحقيق: محمد سويد، دار إحياء العلوم، بيروت، ط1، 1988م، ص628-629؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، بيروت، دار صادر، د.ت، ج2، ص267-269، النويري، شهاب الدين: نهاية الأرب في فنون الأدب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، ج1، ص381.
- (6) اسمها عند النويري، مصدر سابق، ج1، ص381، "النضرة"، وعند البيهقي، مصدر سابق، ص628، "ملكة".
- (7) ابن هشام، مصدر سابق، ج1، ص73-76، ياقوت الحموي: مصدر سابق، ج2،

- ص 267-269، النويري: مصدر سابق، جـ1، ص 381، البيهقي: مصدر سابق، ص 628، وعن الجاسوسات العربيات اللواتي تعاملن مع أعداء الأمة في القرن العشرين انظر على سبيل المثال: سعيد الجزائري: المخابرات والعالم، دار الجيل، بيروت، ط6، 1991م، جـ2، ص 168، ص 431-435.
- (8) صابت: سقطت.
- (9) وأيد: شديدة.
- (10) ربية: بمعنى الربو، وهو النماء والزيادة، لأنها ربت في نعمة.
- (11) لحينها: أي لمكرها.
- (12) أي ضاع الذي يرقبها ويحرسها.
- (13) أغيقته: سقته بالعشي.
- (14) يقال وهل الرجل، إذا أراد شيئاً فذهب وهمه إلى غيره.
- (15) بهيم: يتحير.
- (16) جتشر: أضاء وتبين.
- (17) سبائبها: طرائقها.
- (18) المشاجب: وهو عود تعلق عليه الثياب. انظر نص الأبيات السابقة مع شرح مفرداتها في ابن هشام: مصدر سابق، جـ1، ص 75-76، ابن كثير، أبو الفداء: البداية والنهاية، تحقيق ومراجعة: محمد عبد العزيز النجار، توزيع مكتبة الفلاح، الرياض، جـ2، ص 200.
- (19) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، ط2، 1978م، جـ5، ص 444.
- (20) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، جـ9، ص 251.
- (21) سلامة محمد الهرفي: الكتابة السرية والرموز في التراث العربي، بحوث تاريخية (1-2) من إصدارات الجمعية التاريخية السعودية، 1991م، ص 151-152.
- (22) عمر رضا كحالة: أعلام النساء، جـ1، ص 73-74.
- (23) من هؤلاء النسوة: أم الفضل زوج العباس، وفاطمة بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب، وأم حبيبة رمة بنت أبي سفيان، ورقيقة بنت صيفي، فضلاً عن الإماء اللواتي دخلن في الإسلام.
- (24) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ1، ص 57-58.
- (25) علي برهان الدين الحلبي: السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون إنسان العيون، بيروت، 1980م، جـ1، ص 475-476.
- (26) هي غزية (بضم الغين وتشديد الياء) بنت جابر بن حكيم القرشية العامرية، نشأت في بني عامر بن لؤي قريبا من مكة، ثم تزوجها أبو العسكر الدوسي، فنقلها إلى مكة، حتى إذا ظهر الإسلام، كانت من أسبق الناس إلى إجابته، وهي التي وهبت نفسها بعد الهجرة لرسول الله (ﷺ)، وسماها الله جل ذكره المرأة المؤمنة في قوله تعالى: ﴿وأمراة مؤمنة إن

- وهبت نفسها للنبي ﷺ الأحزاب، آية 50، وانظر: محمد على الصابوني: مختصر تفسير ابن كثير، بيروت، دار القرآن الكريم، ط6، 1981م، ج3، ص105، حاشية رانم 3، فايز أبو شيخة: نساء ومواقف، الحلقة الثانية، الكويت، ط1، 1987م، ص21-23.
- (27) فايز أبو شيخة: المرجع السابق، ص21-23.
- (28) هي رقية بنت صيفي بن هاشم بن عبد مناف، شاعرة من شوارع العرب ذات فصاحة وبلاغة. عن حياتها انظر: عمر رضا كحالة: مرجع سابق، ج1، ص459-460.
- (29) المرجع السابق، والصفحات نفسها.
- (30) ولدت أسماء سنة 27 قبل الهجرة، وهي أكبر من أختها لأبيها عائشة أم المؤمنين بعشر سنين، أسلمت بعد إسلام سبعة عشر إنساناً، تزوجها الزبير بن العوام، شهدت وقعة اليرموك مع زوجها وأبليت فيها بلاء حسناً، روت عن النبي ﷺ (58 حديثاً اتفق البخاري ومسلم على أربعة عشر حديثاً منها، وكانت شاعرة ناثرة، توفيت بمكة سنة (73هـ/692م) ولها مائة سنة. انظر: الذهبي، أبو عبد الله: سير أعلام النبلاء، تحقيق: حسين الأسد وآخرين، بيروت، ط2، 1982م، ج2، ص287-296، عمر رضا كحالة: مرجع سابق، ج1، ص47-53.
- (31) الحلي: السيرة الحلبية، ج2، ص230.
- (32) المصدر السابق، ج2، ص212-213.
- (33) أحمد الشرباصي، موسوعة الفداء في الإسلام، بيروت، دار الجيل، ط1، 1974م، ج1، ص171.
- (34) هي صفية بنت عبد المطلب بن هاشم، أسلمت قديماً، وهاجرت إلى المدينة، تزوجها في الجاهلية الحارث بن حرب بن أمية، ثم خلف عليها العوام بن خويلد بن أسد، فولدت له الزبير، والسائب، وعبد الكعبة، كانت شاعرة من المجيدات في الرثاء، توفيت سنة (20هـ/640م)، ودفنت بالبقيع، انظر: عمر رضا كحالة: مرجع سابق، ج2، ص341-345.
- (35) ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص123.
- (36) هي أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، ولدت قبل البعثة بخمس سنين، ثم تزوجها خنيس بن حذافة، فهاجرت معه إلى المدينة، فمات عنها بعد مقدم النبي ﷺ من بدر، وتزوجها الرسول ﷺ سنة ثلاث من الهجرة، كانت كاتبة ذات فصاحة وبلاغة، توفيت في المدينة سنة (45هـ/665م) انظر: عمر رضا كحالة: مرجع سابق، ج1، ص274-277.
- (37) فقد أسر الرسول ﷺ إلى زوجته حفصة عندما حصل نزاع بينه وبين مارية القبطية، بأن مارية قد أصبحت محرمة عليه بعد الآن، وأوصاها بحفظ هذا السر لكنها أفشتها؛ وهو مما كان سبباً في نزول سورة التحريم.
- (38) هو أنس بن مالك بن النضر أبو حمزة الأنصاري، خادم رسول الله، له صحبة طويلة، وحديث كثير، مات سنة (93هـ/711م). انظر: السيوطي، جلال الدين: دلبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983م، ص19، حاشية رقم 23.

- (39) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف: رياض الصالحين، تعليق: رضوان محمد رضوان، طبعة جديدة مصححة بإشراف لجنة من العلماء، د.ت، ص293.
- (40) هي فاطمة بنت محمد بن عبد الله (ﷺ)، ولدت قبل البعثة بخمس سنين، وهي أصغر بنات الرسول (ﷺ)، تزوجها علي (رضي الله عنه) بعد غزوة أحد. عن حياتها انظر: عمر رضا كحالة: مرجع سابق، ج4، ص108-132.
- (41) النووي: مصدر سابق، ص292-293.
- (42) هو صخر بن حرب بن أمية، من دهاة العرب، ومن أهل الرأي والشرف، قلعت عينه في أثناء حصار الطائف، وقلعت الأخرى يوم اليرموك، توفي في المدينة سنة (31هـ/651م) انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج2، ص105-107.
- (43) ابن هشام: السيرة، ج4، ص38، محمد أحمد باشميل: فتح مكة، دار الفكر، ط6، 1974م، ص98-99.
- (44) علي برهان الدين الحلبي: السيرة الحلبية، ج3، ص6-8.
- (45) محمد أحمد باشميل: فتح مكة، ص98-99، الحلبي: السيرة الحلبية، ج3، ص9.
- (46) الماوردي، أبو الحسن: نصيحة الملوك، تحقيق: محمد جاسم الحديثي، بغداد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، 1986م، ص483-484.
- (47) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن: صيد الخاطر، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص260-261.
- (48) الماوردي: مصدر سابق، ص484، وانظر حاشية رقم 1188. لمزيد من التفاصيل عن الكتمان انظر: سلامة محمد الهرفي: الكتمان في التراث العربي الإسلامي، مجلة الأمن - وزارة الداخلية السعودية، العدد الثالث، جمادى الآخرة، 1411هـ.
- (49) هو عبد الله بن جحش بن رثاب الأسدي القرشي، أبو محمد، وأمّه أميمة بنت عبد المطلب عمه النبي (ﷺ) أسلم قبل دخول النبي (ﷺ) دار الأرقم، وشهد بدرًا واستشهد يوم أحد، انظر ابن سعد، محمد: الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر، د.ت، ج3، ص89، ابن الأثير، أسد الغابة، ج3، ص131.
- (50) عمر بن شبة، تاريخ المدينة المنورة. تحقيق: فهد شلتوت، دار الأصفهاني، جدة، 1979م، ج2، ص472-473، ابن كثير: البداية والنهاية، ج3، ص272، ابن هشام: السيرة، ج2، ص252.
- (51) هو يحيى بن أكثم بن محمد، بوى منصب قاضي القضاة سنة (211هـ/826م)، وتوفي بالربيعة سنة (242هـ/856م)، انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج12، ص5-16.
- (52) أحمد فريد رفاعي: عصر المأمون، القاهرة، 1928م، ج1، ص444.
- (53) هو حاطب بن أبي بلتعة اللخمي حليف بني أسد بن عبد العزي، شهد بدرًا والمشاهد كلها، وكان رسول النبي (ﷺ) إلى المقوقس صاحب مصر، وكان من الرماة الموصوفين، مات سنة (30هـ/650م)، انظر: الذهبي: مصدر سابق، ج2، ص43-45، ابن حبان، أبو حاتم: مشاهير علماء الأمصار، دار الكتب العلمية، 1959م، ص21، ترجمة رقم82.

- (54) لمزيد من التفاصيل عن قصة حاطب، انظر: أبا داود: سنن أبي داود، مج2، ج3، ص47-48، كتاب الجهاد، باب في حكم الجاسوس إذا كان مسلماً، حديث رقم 2650، ابن هشام: السيرة، ج4، ص40-41، الطبري، ج3، ص48-49.
- (55) الهرثمي، أبو سعيد: مختصر سياسة الحروب، تحقيق: عبد الرؤوف عون، نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، 1964م، ص11، ولمزيد من التفاصيل عن حرص حكام الدولة الإسلامية على حفظ الأسرار انظر: ابن أبي الربيع، أحمد: سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق: ناجي التكريتي، بيروت 1978م، ص107.
- (56) هو محمد بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب، ولد عام (93هـ/711م) في المدينة، والده من سادات الهاشميين، وأمه هند بنت أبي عبيدة الأسدي من فريش لذلك سمي بصريح فريش لأن أمه وجداته كلهن عربيات، وقد اشتهر بالعلم والزهو فلقب بـ(النفس الزكية)، لمزيد من التفاصيل عن حياته وثورته انظر: محمد سليمان العبد، حركة محمد النفس الزكية محمد بن عبد الله بن حسن، دراسة وتقييم، دار الأرقم، الكويت، 1983م، ص55 وما بعدها.
- (57) البيهقي: المحاسن والمساوي، ص176-177.
- (58) شاکر مصطفى: دولة بني العباس، الكويت، ط1، 1973م، ج1، ص223، وانظر حاشية رقم 1.
- (59) عن نشأته الإسماعيلية وانقسامها وظهور فرقة الحشاشين انظر: محمد كامل حسين: طائفة الإسماعيلية، تاريخها، نظمها، عقائدها، القاهرة 1959م.
- (60) برنارد لويس: الحشاشون فرقة ثورية في تاريخ الإسلام، تعريب محمد العزب موسى، بيروت، دار المشرق العربي الكبير، ط1، 1980م، ص101.
- (61) السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1975م، ص689، 695.
- (62) برنارد لويس: مرجع سابق، ص92-94.
- (63) المرجع السابق، ص104.
- (64) ابن الأثير، أبو الحسن: الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر، 1965م، ج11، ص419.
- (65) برنارد لويس: المرجع السابق، ص116-118.
- (66) ابن الجوزي: تاريخ عمر بن الخطاب، المكتبة التجارية الكبرى، عمان - الأردن، دت، ص78-79، ابن قيم الجوزية: الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق: محمد حامد الفقي، القاهرة، 1953م، ص28-29.
- (67) ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص169-170، 207-208.
- (68) انظر نماذج من تحقيق: محمد بن مسلمة مع بعض الولاة، ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، القاهرة، دت، ج2، ص608-610.
- (69) يرجح ابن كثير، مصدر سابق، ج10، ص69 أنه الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

- (70) ابن كثير: مصدر سابق، جـ-10، ص169-170، 207-208.
- (71) صبحي الصالح: النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، دار العلم للملايين، بيروت، ط6، 1982م، ص317.
- (72) الأسود العنسي اسمه عييلة بن كعب بن غوث ولقبه ذو الخمار، وكان كاهنا مشعوذا، انظر ابن خلدون، عبد الرحمن: تاريخ ابن خلدون، جـ-2، ص60.
- (73) ابن كثير: مصدر سابق، جـ-1، ص347-350، ابن خلدون: المصدر السابق، جـ-2، ص60.
- (74) لمزيد من التفاصيل عن أعمال الحاكم بأمر الله المنحرفة انظر ابن كثير: مصدر سابق، جـ-12، ص10-11.
- (75) عمر رضا كحالة: أعلام النساء، جـ-2، ص37-38.
- (76) سورة المجادلة، آية 22.
- (77) ابن كثير: مصدر سابق، جـ-4، ص233-236، محمد أحمد باشميل: غزوة خيبر، دار الفكر، ط5، 1979م، ص279-282.
- (78) الواقدي: فتوح الشام، جـ-1، ص98، ابن أعثم: الفتوح، جـ-1، ص225، صالح حمارنة: دور الأنباط في الفتوح الإسلامية، ص7.
- (79) الكامل في التاريخ، جـ-10، ص173، سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية، جـ-2، ص798.
- (80) سعيد عبد الفتاح عاشور: حطين وقائع وعبر، مجلة العربي الكويتية، ع344، ذو القعدة 1407هـ، يوليو 1987م، ص45.
- (81) برزيه حصن قرب السواحل الشامية يضرب به المثل في الحصانة، استولى عليه الإفرنج مدة حتى أعاده صلاح الدين سنة 584هـ، انظر ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: محمد حسني مصطفى، دار القلم العربي، حلب، ط1، 2001م، ص104 حاشية رقم1.
- (82) ابن شداد: مصدر سابق، ص106، ابن الأثير: مصدر سابق، جـ-10، ص173.
- (83) صلاح الدين المنجد: استخباراتنا بين الجذور العربية والواقع، صحيفة الشرق الأوسط، الخميس، 21/5/1987م، ص9.
- (84) أبو شامة: الروضتين، جـ-4، ص105-106، العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص347-349.

المصادر والمراجع

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد (630هـ/1238م): أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: إبراهيم البناء، ومحمد أحمد عاشور، القاهرة، 1970م.
-: الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر، 1965م.
- ابن أعمش الكوفي، أبو محمد أحمد (ت314هـ/926م): الفتوح، الجزء الأول، الدكن 1968م.
- باشميل، محمد أحمد: فتح مكة، دار الفكر، ط6، 1974م.
-: فتح خير، دار الفكر، ط5، 1979م.
- البيهقي، إبراهيم بن محمد (كان حيا في بداية القرن الرابع الهجري): المحاسن ولساوي، تحقيق: محمد سويد، بيروت، دار إحياء العلوم، ط1، 1988م.
- الجزائري، سعيد: المخابرات والعالم، دار الجيل، بيروت، ط6، 1991م.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن (ت597هـ/1200م): صيد الخاطر، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.
-: تاريخ عمر بن الخطاب، المكتبة التجارية الكبرى، عمان - الأردن، د.ت.
- ابن حبان، أبو حاتم محمد (ت354هـ/965م): مشاهير علماء الأمصار، عني بتصحيحه فلايشمير، دار الكتب العلمية، 1959م.
- حسين، محمد كامل: طائفة الإسماعيلية، تاريخها، نظمها، عقائدها، القاهرة، 1959م.
- الحلبي، علي برهان الدين (ت1044هـ/1634م): السيرة الطلبية في سيرة الأمين المأمون إنسان العيون، بيروت، 1980م.
- الحموي، ياقوت شهاب الدين (ت626هـ/1228م): معجم البلدان، بيروت، دار صادر، د.ت.
- حمارنة، صالح: دور الأنباط في الفتوح الإسلامية، منشورات وزارة السياحة والآثار، عمان - الأردن، د.ت.
- ابن خلدون، ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن (ت808هـ/1405م): تاريخ ابن خلدون، بيروت، د.ت.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق (ت275هـ/888م): سنن أبي داود، مراجعة وضبط وتعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الرياض، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.
- الذهبي، أبو عبد الله محمد (ت748هـ/1374م): سير أعلام النبلاء، تحقيق: حسين الأسد وآخرين، بيروت، ط2، 1982م.
- الرفاعي، أحمد فريد: عصر المأمون، القاهرة، 1928م.
- ابن أبي الربيع، أحمد بن محمد: سلوك المالك في تدبير الممالك، دراسة وتحقيق: ناجي التكريتي، بيروت، 1978م.

- ابن سعد، محمد (ت230هـ/844 م): الطبقات الكبرى، تقديم: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، د.ت.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: طبقات الحفاظ، بيروت، ط1، 1983م.
-: تاريخ الخلفاء تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1975م.
- أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل (ت665هـ/1266م): الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزبيق، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1997م.
- ابن شبة، أبو زيد عمر (ت262هـ/875 م): تاريخ المدينة المنورة، تحقيق: فهد شلتوت، جدة، دار الأصفهاني، 1979م.
- ابن شداد، بهاء الدين يوسف (ت632هـ/1234م): النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: محمد حسني مصطفى، حلب، دار القلم العربي، ط1، 2001م.
- الطبري، محمد بن جرير (ت310هـ/922م): تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف (1961-1976م).
- عاشور، سعيد: الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1976م.
- العبد، محمد سليمان: حركة محمد النفس الزكية دراسة وتقييم، الكويت، دار الأرقم، 1983م.
- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف (ت463هـ/1070م): الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، القاهرة، مطبعة نهضة مصر، د.ت.
- علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، ط2، 1978م.
- ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله (ت751هـ/1350م): الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية، تحقيق: محمد حامد الفقي، القاهرة، 1953م.
- الكتاني، عبد الحي، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- كحالة، عمر رضا: أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، بيروت، مؤسسة الرسالة، د.ت.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل (ت774هـ/1372م): البداية والنهاية، تحقيق ومراجعة وتعليق: محمد عبد العزيز النجار، توزيع مكتبة الفلاح، د.ت.
- لويس، برنارد: الحشاشون فرقة ثورية في تاريخ الإسلام، تعريب: محمد العزب موسى، بيروت، منشورات دار المشرق العربي الكبير، ط1، 1980م.
- الماوردي، أبو الحسن علي (ت450هـ/1058م): نصيحة الملوك، تحقيق: محمد القاسم الحديثي، بغداد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، 1986م.
- مصطفى، شاكور: دولة بني العباس، الكويت، ط1، 1973م.
- ابن منظور، جمال الدين محمد (ت711هـ/1311م): لسان العرب، بيروت، دار صادر، 1956م.
- نصر، صلاح: حرب العقل والمعرفة، الوطن العربي للتوزيع، ط3، 1985م.

- النووي، أبو زكريا يحيى (ت671هـ/1277م): رياض الصالحين، تعليق: رضوان محمد رضوان، د.ت.
- النويري، شهاب الدين أحمد (ت733هـ/1332م): نهاية الأرب في فنون الأدب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب.
- ابن هشام، أبو محمد بن عبد المطلب (ت218هـ/833م): السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، بيروت، دار القم، د.ت.
- وتر، محمد ضاهر: مكانة المرأة في الشؤون الإدارية والبطولات القتالية، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1979م.

